



# البعث الإسلامي

إلى المؤمنين

منه جدد نور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شَعَارًاً الْوَجْهُ

# المنهج الاسلامي

المنهج الاسلامي ، منهج مستقل ، منهج مختلف ، منهج أصيل ليس بيدهه وبين المذاهب الوضعية وجه شبه أونسب ، فيما المذاهب الأخرى أو المذاهب السائدة الأخرى ، تختلط مع الشعوب البشرية العامة في سوق المادة والمعدة ، وتحتاج معها على مانحة واحدة ، وتتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة ، نرى الاسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطريق ، احتفاظاً بسماته و خصائصه ، وغيره على دين الله واستنساكاً بالعروة الوثقى ، وكراهة لمناهج الباطلة و الدعوات المزورة الكاذبة ، و ذلك هو المراد بما جاء في الحديث الشريف من خالفة اليهود والنصارى و التشديد على النهي عن متابعتهم ولو في الأمور العادلة البسيطة « و تحسبونه هبنا و هو عند الله عظيم » .

محمد الحسني (رحمه الله)

# الكتاب

شريعة اسلامية جامعية

لنسانها فقيه الوجود والفردانية  
لوزيرها محمد الحسني (رحمه الله)  
في حرم ١٤٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

رئاسة التحرير :  
يعبد الله حفيظي السروي  
والدصحح رئيد الندوى

# المجلد الخامس والعشرون

العدد الأول

رمضان ١٤٠٠

يوليو و أغسطس ١٩٨٠

# الرسالات :

## البعث الاسلامي

ندوة العلماء ص ٩٣  
لكتبو — الرسالة

# فهرز الـ

أخى القارىء ا  
مؤشرات مكتبة الـ  
و تحويل العالم

أخى القارىء ا  
مؤشرات مكثفة لتصفية العناصر الاسلامية  
و تحويل العالم الاسلامى إلى أوكر المدامين  
**التو** ==

- ١٠ سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوى  
 ١٩ نشريعة الصرم وأميراره كما ذكرها الفرقان  
 ٢٢ الغزو الفكرى في العالم الحديث  
 دكتور يوسف القرضاوى  
 دكتور / عبد الشافع غنيم عبد القادر جامعة قطر

## الدعاة الاسلامية

- الاستخلاف في الأرض ، مفهومه و مصالحه  
العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى رحمه الله  
ساحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوى  
٤٠  
٢٤٧  
تعلم المسلمين و تربيتهم العامة

## دراسات و أبحاث

- الأسلوب الخداعية لانكار السنة فضيلة الشيخ محمد برهان الدين  
دراسة موجزة عن الحكم الثالث في الادارة والاتخاذ الدكتور عياد الدين خليل

الفقه الاسلامي

- القانون الاسلامي و تدريسه الجديد      الاستاذ منظور احمد محاضر في قسم العلوم الاسلامية ٧٣

الأستاذ سعيد بن عبد الله سيف

- # صور وأوضاع

القرارات واضح رشيد الندوى

- الى روح الشهيد محمد مصطفى رمضان بقلم الاستاذ أبو ياسر

## أخبار اجتماعية

- أفغانستان المجاهدة في مؤتمر إسلام آباد** قلم التحرير  
**ماذا يجري في سوريا الإسلامية** د. د.

عبد الأعظمي

وَاللهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝

بعد غيابنا لفترة من الوقت نلتقي معاً بأول عدد لمجلة الخامس والعشرين .  
وكيف لا يفيض القلب شكرآ لله الذي وفقنا إلى الاستمرار بهذا العمل  
رغم الأعاصير التي مرت بنا ، وضآلـة الوسائل والامكانيات التي رافقـتنا طوال  
ربع قرن من الزمان ، ولا تزال ، ورغم الأوضاع السيئة المضـادة التي عاصرت  
العالم الإسلامي بوجه خاص والـعالم كله عامة ، حينـها خرسـت الألسـن عن قول  
الـحق ، وتوقفـت الأقلـام الجـريـمة عن الكـتابـة الصـريـحة ، وـاكتـفـيـ الناس باـستـكارـة  
الـمنـكـر بالـقـلـاب ، هناـلكـ ظـلتـ المـجلـةـ منـبـراً جـريـشاً لـلدـفاعـ عنـ الـحقـ ، وـقـاعـدةـ صـلـبةـ  
لـلـشـجـاعـةـ وـالـإـيمـانـ وـصـدـعـتـ بـكـلمـةـ الـحقـ مـدـوـيـةـ مجلـجـلةـ ، عـاملـةـ بـمـبدأـ «ـكـلمـةـ حقـ  
عـنـدـ سـلـطـانـ جـائـرـ »ـ فـنـحـمدـ اللهـ سـبـحـانـهـ عـلـىـ ذـلـكـ حـمـدـاً كـثـيرـاً وـنـسـأـلـهـ الثـباتـ  
وـالـاسـتـقـامـةـ وـالـاخـلاـصـ .

مع إطلاة عام المجلة الجديد تجددت ذكريات حزينة ، ذكرتنا بأخينا  
وصديقنا الحبيب فقييد الدعوة الإسلامية الاستاذ محمد الحسني رحمه الله ، الذي  
آثرت به رحمة الله تعالى في مثل هذا الشهر (رجب) في العام الماضي فكانت مفاجأة  
تحطمـت بها القلوب ، ولا تزال نـشر بـرارـة الأسى رغم ما سـر على الحادث عام  
كامل ، وندعـو الله سبحانه أن يتغمـده بالرحـمة والرضا ، ويسـكـنه فـسيـح جـنـانـه  
ويوفـقـنا للـقـيـام بـجـانـبـ الـحـقـ وـالـعـدـلـ وـالـدـعـوـةـ إـلـىـ اللهـ فـإـيمـانـ وـإـخـلاـصـ وـزـاهـةـ .  
وـرجـاؤـناـ منـ الـأـخـ الـقـارـئـ أـنـ لـاـ يـنسـيـ وـاجـبـهـ نحوـ توـسيـعـ نـطـاقـ المـجـلـةـ  
وـلـاصـالـهاـ إـلـىـ أـكـبرـ عـدـدـ مـكـنـ ،ـ تـعاـونـاـ مـنـهـ عـلـىـ الـبـرـ وـالـخـيرـ ،ـ وـنـأـ كـبـدـأـ عـلـىـ مـصـلـحةـ  
الـدـعـوـةـ وـالـعـمـاـ الـاسـلامـ ،ـ وـتـشـحـعـاـ مـنـهـ لـزـملـائـهـ عـلـىـ دـرـبـ الـجـهـادـ وـثـغـرـ الـاعـانـ .



وكان لهم تلاميذ «أوفياء نجباء» في كل بلد مسلم، وآخرون متسلقون متزلفون من أغبياء الدول الإسلامية الذين نصبهم سادتهم وكياؤهم محل القادة والحكام فاستخدموهم لكل غرض خبيث وأداروهم كآلة صماء في كل ما أرادوا، فلم يكن منهم إلا الامتثال بل وفوق الامتثال، فيما أمرتهم به من الفتوك بالنفوس البريئة واغتيال الرجال البارزين في المجتمع الإسلامي و هتك الأعراض ، و العبث بال المقدسات و المعتقدات .

اتحد على هذه النقطة المعسكرات و المؤسسات الدولية كلما فانيت خبراؤها في دول العالم الإسلامي حيث خططوا لضرب الحركات و الجماعات الإسلامية خاصة ، و تصفية الدعاة و العلماء و العاملين في مجال العمل الإسلامي عامه ، و لم يكتفوا بذلك بل تعدت خطواتهم إلى عامة الشعب المسلم والمتدلين ، من يرونه خطرًا على إجراءاتهم التحسفية أو يخافون منهم في أي مرحلة من تنفيذ خططائهم الاجرامية ، ولهؤلاء الخبراء المبعوثين جولة وصولة في الدوائر الرسمية ، والحكام يحيطونهم بهالات من التقديس و التبجيل ، و يخضعون لهم فيما يخططون لتصفية العناصر الإسلامية .

ذلك عدا ما تدبر هذه المؤسسات الدولية من مؤامرات ضد الوطن الإسلامي و الشعب المسلم من خارجه ، و قد تبلغ هذه المؤامرات في شراستها و ضراورها البالغة المدى مبلغًا لا يكاد يتصوره العقل ، و ما قصبة المؤامرة العسكرية السكريى التي تولتها الولايات المتحدة ضد الثورة الإسلامية في إيران باسم إنقاذ الرهائن المحتجزين بسر، تلك التي خذلها الله تعالى في صحراء إيران وضرب عاليها بالذلة والهوان ، و إن نجاح هذه المؤامرة لا يعني إلا السيطرة على إيران بكاملها والثورة على كل شيء ينتهي إلى الإسلام والعودة بـإيران إلى عهد الظلم والوحشية والظلم ، وإسكات كل صوت ينادي بالمنهج الإسلامي ، و الدستور الإسلامي ، و الحكم الإسلامي .

## مؤامرات مكثفة لتصفية العناصر الإسلامية و تحويل العالم الإسلامي إلى أوكار المدامين

ما سجل التاريخ فترة عصيبة اجتازها العالم الإسلامي - بأوسع معناه - كشأنه اليوم ، فقد تأبالت القوى المضادة كلها شرقاً وغرباً على حسر المد الإسلامي ، الذي ظهرت تباشيره في الآونة الأخيرة في جميع أنحاء العالم بألوانه المختلفة ، وقد أصبحت السكتل الدولية والمعسكرات القومية كلها جبهة موحدة ضد ما تلمسه بالبنان من بعث إسلامي نطاق أمواجه خارقة جميع الحواجز والسدود نحو المجتمعات الإنسانية في كل مكان ، وترى أن تتغلب على الأفكار والدعوات والفلسفات التي قامت بدور التضليل والمدم ، أكثر منها بالهدایة و البناء ، والتي ملأت الحياة بأسرها شقاء وتعاسة ، وقف منها الإنسان على شفا الدمار ، وذاق منها عذاباً أدنى دون العذاب الأكبر ، فكان تفسيراً لقوله تعالى « ولذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلمهم يرجعون » .

و بدأ يتراجع الناس من تجارب الحضارات و النظريات المرة الفاشلة إلى ظل الإسلام ، وعمت موجة العودة إلى الإسلام في المجتمعات الإنسانية والقطاعات الأئمة على اختلاف جنسياتها وقومياتها ، ذلك لأنهم لم يجدوا ملجاً إلا في منهج الحياة الإسلامي فلاذوا به من سمات الحضارات المادية ، والأيديولوجيات العفنة التي جعلت حياة الإنسان مجرد ماكينة غبية عن كل الاعتبارات الإنسانية و القيم الأخلاقية .

رأى ذلك زعماء النظريات المزعومة ومسايرة الشعوب والأمم الذين يساومون الضحايا ويشترون رؤساء الدول بثمن بخس دراهم معدودة ، فأزعمهم كسامد سلطنتهم ونفاد رأسائهم ، وهناك صموا على المقاومة ، وعلى حشد كل طاقاتهم لصد التيار

و يعودون بهذا البلد من طبيعته الاملامية و طابعه الاصليل إلى طابع علماني كافر ،  
و الشعب المسلم لا يملك إزاء ذلك إلا الرفض و الكراهة بالقلب ، و قد بدأت  
هجرة السكان المسلمين إلى دول أخرى تفادياً مما يفرض عليهم من الكفر البوح ،  
أما الرئيس « المسلم » فإنه تبعى حدود العقل كلها و أرسى فوجاً من عملائه  
و جواسيسه إلى جميع دول العالم عن طريق سفاراته فيها ، و مهمتهم أن يقتلوها من  
و جدوه لا يوافق خطوات الرئيس مع تهوين شأن الدين والتغريد بعلماء الدين و دعاة  
الاسلام ، و قد اغتال بعض هؤلاء العملاء خيرة الشباب و صفوة الدعاة العالمين  
في المجال الاسلامي في أوروبا حال خروجهم من المسجد بعد أداء الصلاة ، لأنهم كانوا  
ينتقدون الرئيس في تصرفاته الصيدانية .

أما ما يجري في سوريا من تعسف ذليل ، و من أفاعيل عدوانة فلا يمكن أن يتصوره أحد على حقيقته و تقشعر الجلود بما تحدث به الصحف أحياناً ، ذلك لأن أعداء الاسلام لم يصبروا على أن تبقى سوريا قاعدة للدعوة الاسلامية وركيزة للعلماء و المحدثين و الفقهاء و الدعاة و العاملين للإسلام ، و لم يجتمعوا أن تكون هناك مدارس إسلامية و مراكز دعوة و تربية ويوجد فيها شباب جامعيون متخصصون للإسلام ، خوفاً منهم أن تخفق مكانتهم في السيطرة على البلد بما فيها من خيرات و طاقات ، ولتحقيق نوادرتهم الخسيسة و مطامعهم السخيفه أقاموا لهم عملاء وأرسلوا إليهم خبراء نفذوا في الشعب المؤمن لارادة الأعداء و الخونة ، فاغتالوا و فنعوا بالنفوس و قتلوا الرجال و النساء و الولدان و الشيوخ ، و أتوا عليهم من فرقهم و من تحت أرجلهم وعن أيديهم و عن شمائهم . و استهدفوا بوجه خاص أصحاب الدين و رجال الدعوة و التربية الدينية ، و الشباب المسلم الذي أدى إلا الاسلام ، و سقطت جثث الشهداء من المسلمين في كل من حلب و حماه و حمص ، و عم الذعر والخوف في البيوت والأحياء ، وبدأ الناس يهاجرون من ديارهم وأوطانهم في ظلام الليل الحالك .

و بلغ السيل الزيبي في الأخير ففقط اولوا على الصحابة الكرام و على مكانة  
الرسول ﷺ ، و منذ أمسايع فقط أطلقوا آخر سهم من جعبتهم و تناولوا مقام  
الجلالة بالسب و الشتم ، و هذروا ما هذوا ، و نشروا هذا اهذيان و الهراء في  
مجلتهم الرسمية « الزحف الأخضر » ، و أثبتوا ما هذوه باللسان على الورق بالحبر  
والقلم ، فكان ذلك آخر شهادة عليهم يوم تشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكتبون .  
كل ذلك حدث و لا يزال يحدث بايعاز من الخبراء الأجانب الذين يدبرون  
دفة الحكم في هذا البلد المسلم العريق و يملون إرادتهم على كل من الحكام والشعب

و لا يخفى على العالم ما يجرى في العراق من الوضع المشابه ، و ما يجرى في أفغانستان من أ بشع أنواع الاحتلال و المدوان ، و سحق الشعب الأفغاني بالدببات و قابل النابل والغازات السامة ، وغيرها من أساليب السحق والنعذيب ، و ما تند له العدة في بعض الدول الأخرى غيرها ، والأوضاع التي هي على وشك الانفجار في بلدان أخرى ، كل ذلك دليل واضح على ما هنالك من إعدادات خخمة للقضاء على ما يرتدون منه الا و هو الاسلام « و قد مكرروا مكرهم و عند الله مكرهم ، و إن كان مكرهم اتزوّل منه الجبال ، فلا تحسين الله مخاف و عده رسله إن الله عزيز ذو انتقام » ( سورة إبراهيم / ٤٦ - ٤٧ ) .

أظن أنني بهذه الإشارات العابرة حاولت أن أفت الانتباة إلى صلب الموضوع ، وكيف أن الطغمة الحاكمة تقلب في أحضان المؤامرات وتنعب في أيدي الحاقدين الظالمين بمصير الدول الاسلامية وال المسلمين ، وتلك هي فتنة الأغبياء الساقطين ، الذين اختارهم المنافقون مطية لتحقيق مآربهم وذریعة هدم الكيان الاسلامي و تحويل الأمة الاسلامية إلى أمة جاهلية لا تعرف من العقيدة و الضمير و الایمان شيئاً .

إن أخوف شئ كنتيجة لهذه العملية التي يمارسها أعداؤنا هو إذابة العقائد و إخراج قيمتها و هويتها من القلوب ، والنجاح في هذا المجال لا يعني إلا الارتماء في أحضان العدو أولاً ، والتجرد عن الایمان الحقيق ثانياً و أخيراً - لاقدر الله - .

هذا ما يريد العدو المتربص ويتمناه ، وهو يحشد كل الوسائل والاغرامات لتحقيق نواياه ، و لا يبالي بأى ثمن غال يدفعه في سبيل ذلك .

فهل نحن راضون بما يخططه العدو و ينفذه ضد إسلامنا و عقائذنا ، و ضد أجيالنا و وطننا الاسلامي الكبير ؟ !

# التجربة الاسلامي

تقوم بين الفرد والحكومة ، إن هذه الآيات - بالعكس من ذلك - تناطح الإيمان  
و العقيدة و العقل و الضمير ، والقلب و العاطفة في وقت واحد ، و تثير كل ذلك  
و تغذى كل ذلك ، وهكذا تهيء الجو لقبول هذا التشريع و إراغته بل للترحب  
به واستقباله بنشاط وحماس ، إنها آية في الاعجاز ، آية في فقه الدعوة . آية في علم  
النفس ، آية في التشريع الحكيم ، « تنزيل من حكيم حميد » .

خاطب الله المكفار بهذا التشريع بقوله : « يا أيها الذين آمنوا ، و هكذا  
هي المخاطبين لقبول كل ما يكلفون به ويطلب منهم ، مهما كان شافاً وعسيراً ، لأن  
صفة الإيمان هي تفتقضي ذلك وتوجبه . فمن آمن بالله كإله ورب وسيد مطاع وصاحب  
الأمر والنهى ، و خضع له بقلبه و قالبه ، و استسلم له و أحبه من أعماق نفسه  
كان جديراً بإجابة كل ما يصدر عنه من أمر ، و كل ما يوجه إليه من سؤال :  
« إنا كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا  
و أطعنا » و ما كان مأون و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرآ أن يكون  
لهم الخيرة » « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول إذا دعاكما لما يحيكم »  
و الشريعة كلها - مما فيها من فرائض و عادات و أحكام - حياة للنفوس .

ثم ذكر الله أنه كتب عليهم الصيام ، و لكنه لم يكتب عليهم لأول مرة في تاريخ الأديان و ليس هو بداعا في التشريع ، فقد كتبه على من سبقهم من أهل الكتاب و أهل الشرائع و الأديان ، و هكذا يخفف الله وطأة هذا التشريع على النفوس و يهون خطبه عليها ، فالإنسان إذا عرف أنه لم يكلف بشئ جديدا ، و إنما هو شيء سبق و تقدم ، و قامت به الطوائف و الأمم ، هان عليه الأمور و تشجع عليه ، ثم ذكر أنه ليس امتحانا فقط ولا مشقة ليس وراءها قصد ، إنه رياضة و تربية و إصلاح و تزكية ، ومدرسة خلقية ، يتخرج فيها الإنسان فاعمله كاملا ، زمامه

# على مائدة القرآن الكريم :

وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَاهُمْنَا كِتَابًا كَتَبْ عَلَيْكُمُ الصِّيَامَ كَمَا كَتَبْ عَلَى الَّذِينَ هُنَّ قَبْلَكُمْ لَعْلَكُمْ تَتَقَوَّنُ ، أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ، فَإِنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَفَدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَ ، وَعَلَى الَّذِينَ يَطْبِقُونَهُ فَدِيَةٌ طَعَامٌ مَسْكِينٌ ، فَإِنْ تَطَوَّعُ خَيْرٌ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَنْ نَصُومُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبِيَنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، فَإِنْ شَهْرٌ مِنْكُمُ الشَّهْرُ ذَلِيقٌ لِلَّهِ فَإِذَا صَمَدْهُ ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَفَدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَ ، يَرْبِدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرْبِدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ، وَلَا تَكُلُوا العِدَةَ وَلَا تَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَكُمْ وَلَعْلَكُمْ تَشَكَّرُونَ ، (١)

هـ آيات من سورة البقرة تدور حول فريضة الصيام ، هذه هـ الآيات الأولى التي عرف المسلمين بها وجوب الصيام في رمضان ، و الصوم شاق على النفس ، لـ أنه حـ رمان من الطعام و الشراب و الشهوات في مدة محددة ، فـ ما كان أـ جدرهم بـ أن يستغلوـوا هذا التشريع و أن يستغلوـوا هذه الآيات التي تنـزل به !

ليست هذه الآيات - التي تضمنت وجوب الصوم - تشرعها جافا مجرد  
القوانين والمراسيم العادلة التي لا تعتمد إلا على الرابطة السياسية والاجتماعية التي

(١) صورة البقرة ١٨٣ - ١٨٥ . و مدرسة خلقية ، يخرج فيها الانسان فاعمله ، زمامه و تربته و إصلاح و تزكية ، و مدرسة خلقية ، يخرج فيها الانسان فاعمله ، زمامه

نخص شهراً كاملاً - و هو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - بصوم أيام متتابعات متواليات ، يصوم نهارها و يفطر ليلاً ، و هو الرف عند العرب في الصوم و هو الميزان في التشريع العالمي الإسلامي ، يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدملوي :

و يضبط اليوم بطلع الفجر إلى غروب الشمس ، لأنه هو حساب العرب و مقدار يومهم ، و المشهور عندهم في صوم عاشوراء ، و الشهر بروية الهلال إلى رؤية الهلال ، لأنه هو شهر العرب ، وليس حسابهم على الشهور الشمسية (١) .

#### لماذا خص رمضان بالصوم ؟

و جعل الله الصوم في رمضان ، فجعل أحدهما مقرضاً بالأخر ، مرتبطة به . فذاك قرآن السعدين ، و التقاء السعادتين في حكمه التشريع ، و ذلك لأن رمضان قد أنزل فيه القرآن ، فكان مطلع الصبح الصادق في ليل الإنسانية الفاسق ، فحسن أن يقرن هذا الشهر بالصوم ، كما يقترن طلوع الصبح الصادق بالصوم كل يوم ، و كان أحق شهور الله - بما خصه الله من إيمان و سعادة و بركة و رحمة ، و بما بينه و بين القلوب الإنسانية السليمة من صلة خفية روحية - بأن يصوم نهاره ، و يقام ليه (٢) .

و بين الصوم والقرآن صلة متينة عميقه ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يكثر من القرآن في رمضان ، يقول ابن عباس رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس ،

(١) حجة الله البالغة ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدملوي « إذا وجب تعين ذلك الشهور ، فلا أحق من شهر نزل فيه القرآن ، و ارتسخت فيه الملة المصطفوية و هو مظنة ليلة القدر ، ( حجة الله البالغة ج ٢ ص ٣٧ ) .

يبيده يملك نفسه و شهواته ، و لا يملكه ، فقد استطاع الإضراب عن المباحثات و الطيبات ، فقوى على ترك المنوعات و المحرمات ، و « يترك الماء واللأöl و الحلال ، و الطعام الذي أهلكه لامر ربـه كيف يقرب الحرام و الرجس الجـس من المطاعم و المشـارب و المـعاشـ؟ لذلك قال : « لعـلمـكم تـقوـنـ » . ثم قال لا تـواـنكـمـ عـدةـ الشـهـرـ وـ تـشـقـلـ عـلـيـكـ ، فـاـنـاـ هـيـ : « أـيـامـاـ مـعـدـوـدـاتـ » تصـامـ تـبـاعـاـ وـ تـقـضـىـ سـرـاعـاـ ، وـ ماـ نـسـبـةـ هـذـاـ الشـهـرـ - الـذـيـ لاـ بـصـامـ إـلـاـ نـهـارـهـ - إـلـىـ الـعـامـ الـكـامـلـ الـذـيـ يـنـقـضـىـ فـيـ لـذـةـ مـبـاحـةـ ، وـ مـتـعـةـ وـ رـاحـةـ ، ثم إـنـهـ يـسـتـشـنـيـ مـنـ هـذـاـ النـكـلـيـفـ مـرـيـضـ وـ مـسـافـرـ وـ مـنـ يـعـجـزـ عـنـ الصـومـ أوـ يـخـافـ عـلـيـهـ هـنـهـ .

ثم ذكر فضل الشهر الذي شرع صومه ، أنه شهر نزل فيه القرآن الذي كان بعثاً جديداً للجيل الإنساني و مبدأ حياة جديدة للنوع البشري ، بخلاف المسلمين أن يستمد من هذا الشهر المبارك و بصيامه و قيامه حياة جديدة و إيماناً جديداً ، و قوة جديدة .

هذا هو الصوم الإسلامي ، أو الشحن الروحاني الذي هو زاخر بالحياة و المبادرات و البركات بعيد عن الإرهاب و الاجهاد و المشقات التي لا تطيقها النفوس « يزيد الله بكم اليسر و لا يزيد بكم العسر و انكروا العدة و انكروا الله على ما هــدـاكـمـ وـ لـعـلـمـكـ شـكـرـونـ » .

#### خصائص التشريع الإسلامي في الصوم و فضله و أحكامه :

وهكذا جاء التشريع الإسلامي للصوم أكمل تشريع و أوفاه بالمقصود ، وأضنه بالفائدة ، و قد تجلت فيه حكمـةـ العـزـيزـ العـلـيمـ الـحـكـيمـ الـخـبـيرـ ، الـذـيـ خـلـقـ الـإـنـسـانـ « أـلـاـ يـعـلـمـ مـنـ خـلـقـ ، وـ هـوـ الـطـيـفـ الـخـبـيرـ » (١) .

(١) سورة الملك : ١٤ ،

و كان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، و كان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان في دراسة القرآن ، فرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة (١) .

يقول العارف بالله ، العالم الرباني الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهدى

(م ١٠٣٤هـ) في بعض رسائله :

«إن هذا الشهر مناسبة تامة بالقرآن ، و بهذه المناسبة ، كان نزوله فيه ، و كان هذا الشهر جامعاً لجميع الخيرات والبركات ، وكل خير وبركة تصل إلى الناس في طول العام ، قطرة من هذا البحر ، و إن جمعية هذا الشهر سبب لجمعية العام كله . و تشتت البال فيه سبب للتشتت في بقية الأيام ، و في طول العام ، فطوبى له مرضى عليه هذا الشهر المبارك ، و رضى عنه ، و ويل له من سخط عليه فنح من البركات ، و حرم من الخيرات (٢) .»

ويقول في رسالة أخرى :

«إذا وفق الإنسان للخيرات ، و الأعمال الصالحة في هذا الشهر ، حالفه ، التوفيق في طول السنة ، و إذا مرض هذا الشهر في توزع بال و تشتت حال ، مرض العام كله في تشتت و تشوش ، (٣) .»

و قد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ، قال : «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة ، و أغلقت أبواب جهنم ، و سلسلت الشياطين ، و الأحاديث في الباب كثيرة .»

(١) حدث متافق عليه .

(٢) رسائل الإمام الرباني ، الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهدى ، ج ١ ص ٨

(٣) رسالة (٤٥ : ) أيضاً .

## موسم عالمي ، و مهرجان عام ، للعبادات ، والخيرات :

و هكذا أصبح رمضان موسمًا عالميًّا ، للعبادة و الذكر و التلاوة و الورع و الزهادة ، يلتقي على صعيده المسلم الشرقي مع المسلم الغربي ، و الجاهل مع العالم ، و الفقير مع الغني ، و المقص مع المجاهد ، في كل بلد رمضان ، و في كل قرية وبادية رمضان ، و في كل قصر وكوخ رمضان ، فلا فجارات في الرأى ، ولا فوضى في اختيار أيام الصوم ، فكل ذي عيدين ، يستشعر جلاله و جماله ، أيها حل و رحل في العالم الإسلامي ، المتراوئ الأطراف تغشى سحابة انوارانية المجتمع الإسلامي كله ، فيحجم المفترط المتهاون بالصوم عن الانشقاق عن جماعة المسلمين ، فلا يأكل إلا متواريًا أو خجلاً ، إلا إذا كان وقحاً مستهترًا من الملاحدة ، أو الماجنين ، أو كان من المرضى و المسافرين ، الذين أذن الله لهم في الافتخار ، فهو صوم اجتماعي عالمي ، له جو خاص ، يسهل فيه الصوم ، و ترق فيه القلوب ، و تخشع فيه النفوس ، و تميل فيه إلى أنواع العبادات و الطاعات ، و البر و المواساة .  
الجو العالمي ، و ماله من تأثير في النفوس و المجتمع :

وقد لاحظ ذلك شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الذهلوi ، بنظره الدقيق العميق ، فقال وهو يشرح حديث : «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة ، إخ .  
«الصوم إذا جعل رسمًا مشهورًا ، نفع عن غواتل الرسوم و إذا تزمه أمة من الأمم ، سلسلت شياطينها ، و فتحت أبواب جناتها . و غلقت أبواب النيران عنها (١) .» .

(١) حجة الله البالغة ، ج ١ ص ٥٩ .

في الدنيا والآخرة .

لقد علم الجمیع ، أن الامساك عن الطعام في بعض الأيام مفید للصحة ، وخير للمرء أن يصوم مراراً في كل عام ، و قد أسرف الناس في الأكل والشرب ، و انتخروا بألوان من الطعام و الشراب ، فاصيبوا بأمراض جسدية و خلقية ، كل ذلك معروف و مشاهد ، و آمن الناس بفوائد الصوم الطبية ، و آمنوا بأنه ضرورة صحية ، و آمنوا كذلك بفوائد الصوم الاقتصادية .

ولكن إذا مآل سائل ما عدد الصائمين في هذه السنة لفوائد طيبة ، ومصالح اقتصادية ؟ و ما عدد الأيام التي صاموها طمعاً في الاعتدال في الصحة أو الاقتصاد في المعيشة ؟ كان الجواب المقرر ، إنه عدد ضئيل جداً ، ضئيل حتى في الشتاء مع أن الصوم فيه سهل هين ، و رغم أن الصوم الطبيعي ، أو الاقتصادي أسهل بكثير من الصوم الشرعي .

ثم ننظر في عدد الصائمين الذين يصومون لأنهم يعتقدون أن الصوم فريضة دينية ، قد وعد الله عليه بثوابه و رضاه ، و تکفل بجزائه ، فنرى أن هذا العدد - مما طفت المادية و ضعف الدافع الديني - عدّ ضخم لا يقل عن ملايين ، وإن هؤلاء الملايين من النفوس لا يمدون الحر الشديد في الأقاليم الحارة من أن يصوموا في النهار ، و يقوموا في الليل ، لأن الإيمان بالمنافع الدينية التي أخبر بها الآباء ، عند أهل الإيمان أقوى من الإيمان بالمنافع الطبيعية التي أخبر بها الأطباء و من الإيمان بالمنافع الاقتصادية إلى هج بها الاقتصاديون .

ذلك لأن المؤمنين سمعوا في الصوم ، ما هون عليهم متابعته الصوم ، و شجعهم على احتمال الحر و الجوع والعطش ، فقد روی أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

و يقول في موضع آخر :  
، أيضاً فإن اجتماع طوائف عظيمة من المسلمين على شيء واحد ، في زمان واحد ، يرى بعضهم بعضاً معاونة لهم على العمل ، ميسراً عليهم و مشجعاً لياماً ..

، و أيضاً فإن اجتماعهم هذا لنزول البركات الملكية على خاصتهم و عامتهم ، و أدنى أن يعكس أحوال كلهم على من دونهم ، و تحيط دعوتهم من وراءهم (١) .

الفضائل و ماهما من تأثير و قوة :

إن الحياة في صراع دائم بين الشهوات الحببية إلى النفس ، و المنافع المقررة عند العقل ، و ليست الشهوات هي التي تنتصر دائماً في هذه المعركة ، كما يعتقد بعض الناس ، فذلك سوء ظن بالطبيعة البشرية ، و إنكار للواقع .

إن القوة التي تدير عجلة الحياة بسرعة ، وتفاض على هذا العالم الحياة والشاطئ هي الإيمان بالفع، ذلك الإيمان هو الذي يوقظ الفلاح في يوم شات ، شديد البرد ، فيحرم عليه الدفء ، و يذكر به إلى الحقل ، و في يوم صائف شديد الحر يهون عليه وجع الشمس و لفح السموم ، و يفصل بين التاجر و أهله ، و يتوجه به إلى متجره ، ذلك الإيمان ، هو الذي يزين للجندي الموت في ساحة القتال ، و فراق الأحبة و العيال ، فلا يعدل به راحة ولا رُورة ولا نعيمًا . إن كل ذلك إيمان بالمنافع و حرص على الخير ، و هو القطب الذي تدور حوله الحياة .

و هنالك إيمان أعظم سلطاناً على الفوس ، و أعمق أثراً من الإيمان الذي ضربنا له بعض الأمثل ، ذلك الإيمان بمنافع أخبر بها الآباء و الرسل ، و نزل بها الوحي ، و نطق بها الصحف ، و هي تنهض في رضا الله و ثوابه و جزاءه

(١) حجة الله البالغة ج ٢ ص ٣٧ .

## الغزو الفدرى في العالم الحديث

[ هذا المقال حلقة أولى لمجموعة من المحاضرات التي ألقاها  
فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى أمام طلبة كلية  
الشريعة و اللغة العربية بدار العلوم ندوة العلماء ، و ذلك  
في شهر ربيع الثانى ١٤٠٠هـ - مارس ١٩٨٠م ، نقلها من  
الشريط الآخر طريف أحمد الطالب بالمعهد العالى للدعوة ]

[ الفكر الاسلامي و التحرير

حدِيثاً اليوم عن الغزوِ الفكريِ !

ذلك الغزو الذي أصاب المسلمين في هذا العصر فأثر في عقولهم وأفكارهم  
و شوه مفاهيمهم و وضع لهم أو لاكثير منهم عقليات جديدة ينظرون بها إلى الحياة  
و الوجود و الإنسان و التاريخ و الدين و المواقف و الأشخاص نظرة جديدة تغير  
النظرة التي يجرب أن ينظر بها المسلم إلى تلك الأمور كلما ، و هذا الغزو هو  
أشد الأمور خطراً في عصرنا هذا ، نحن نعرف أن الغزو نوعان غزو عسكري  
و غزو فكري ، كان الغزو في الماضي يعتمد على الجانب العسكري أي على احتلال  
الأرض وكان الأعداء إذا انتصروا على بلد ما حاولوا أن يهدموا المقومات المادية  
بحصار المغلوبين ، وما انتصر التتار مثلاً على المسلمين و دخلوا بغداد عاصمة الخلافة  
الإسلامية في ذلك الوقت سنة ٦٥٦ من الهجرة ماذا صنعوا ؟ هدموا المساجد هناك

(١) رواه الاستاذة

(٢) لاشخن

(٣) رواه البخاري

وأقوا بالكتاب ببر دجلة حتى اسود ماء النهر من كثرة ما أريق فيه من مداد ، هناك ذبحوا الناس حتى سالت الدماء كالمياه ، هذا ما فلسفه ، وكانت مهمة الغزو الأجنبي أن يفعل هذا مع من يغزوهم ، يهدم المقومات المادية التي يقدر عليها .

ثم جاء الاستعمار الحديث ووجد أن هذه الوسيلة وسيلة بالية تقليدية عنيفة لا تستطيع أن تصمد طويلاً لمقاومة والتصدي و كثيراً ما تقلب على أصحابها و كثيراً ما تثير التقطعة و توغر الصدور و تشعل النار في القلوب و تشتد المقاومة ويقف المغلوبون ضد الغالبين وهذا ما حدث فعلاً ، فثلا إذا أخذنا التيار أولئك الذين غلبو على المسلمين غالباً تذكر في التاريخ وضرب بها المثل «إذا قبل إن التيار انهزموا فلا تصدق» ، وذلك أشبه ما كان يقال عن إسرائيل ، لأنها القوة التي لا تقاوم ، هكذا كان التيار ، ولكن لم يفع هذا شيئاً فما هي إلا سنتان فقط حتى هزم التيار هزيمة كبيرة سجلها التاريخ للإسلام بأحرف من النور بسنة ستين و ثمان و خمسين و ذلك في معركة عين جالوت في رمضان ، سنتان فقط واسترد المسلمون أنفسهم وقاتلوا في معركة من معارك التاريخ الخامسة معركة عين جالوت بقيادة القائد المملوكي المسلم المتدين المظفر قطب .

ولما جاء هذا الاستعمار فكر تفكيراً جديداً : إنه لا يكفي احتلال الأرض ولا يكفي أن يذبح الناس ولا يكفي أن تهدم المساجد ولا يكفي أن ترمي الكتب في الانهار أو تحرق بالنار ، بل لابد من عمل جديد ، هذا العمل الجديد هو أن يغزو الأفكار ، ويغزو الإنسان من داخله ويقاد من باطنه ويجعل من حيث يمشي وراء الأفكار والمعتقدات ، فالذى يصنع التاريخ في الحقيقة هو الأفكار والمعتقدات ، والذى يصنع السلوك هو الفكر ، وليس كما يقول ماركس : إن الذى يصنع التاريخ هو الاقتصاد أو الاتجاه أو علاقات الاتجاه ، ولكن الواقع هو ما يقوله الإسلام أن الأفكار والآنس

تغير التاريخ كما قال الله سبحانه و تعالى مقرراً ما به السنة الاجتماعية الدائمة ، «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ما الذي صنعه النبي عليه السلام في تغيير العرب ، إنه غير ما بأنفسهم ، غير أفكارهم و معتقداتهم و صنع منهم أناساً جدداً في الفكر الجديد والإيمان الجديد ، ترك العربي الجاهلي وثنيات ، ترك العادات و الأخلاق القديمة كشرب الخمر و الزنا و واد البنات و لعب الميسر و كذلك وكذا ترك هذا لما تغير فكره و معتقداته .

هذا ما فهمه الغاصبون الذين احتلوا ديار الإسلام ، فأرادوا أن يعاملوا المسلمين معاملة أخرى ، كان بعض المتعصبين منهم يريد أن ينقل المسلمين من دينهم إلى ديانة المستعمررين وجاءت الحملات التبشيرية الضخمة إلى بلاد المسلمين خاوات تصير المسلمين و أرادت تحويلهم من محمد ، و أحمد ، و حسن ، و حسين ، إلى جورج هنا ، و بطرس و هكذا ، و لكنها فشلت كما كتب أحد روؤسائها في مصر ، كتب تقريراً أيام الحملة التبشيرية على مصر قال فيه : سيظل الإسلام صخرة عانية تتحطم عليها محاولات التبشير النصراني ما دام للإسلام في مصر هذه الداعم ، القرآن يسمع و يتلى و يحفظ و يدرس ، و الأزهر الذي يعلم هذا القرآن ويقوم عليه تعليماً و دعوة و تربية ، واجتماع الجمعة الأسبوعي ، و مؤتمر الحج السنوي للإسلام ، مادامت هذه الأمور الأربع سبب كل المسلمين متسلكين بالاسلام ، وقال بعضهم : مadam هذا الكتاب موجوداً ، فإن يستقر لنا القرار في بلاد الشرق .

و قال بعض المتعصبين الكاثوليكين الفرنسيين إذا توارى القرآن و الكعبة أمكن السيطرة على المسلمين و لكن كيف يمكن أن يتوارى القرآن و كيف يمكن أن تتوارى الكعبة ، و كيف يمكن أن يتوارى المسجد الذي يجتمع فيه المسلمين لصلواتهم ، خاصة في اجتماع الجمعة الذي أشار إليه المبشر ، كيف يمكن أن يتوارى الأزهر

منه ، ويزين ويُزخرف وتقام له مآذن ومنابر عالية رفيعة تناطح السحاب ، وهكذا كان الغزو الفكري الواسعة الفعالة لتبديل نفسية المسلم وعقلية سلوك المسلم ، وهذا ما سار فيه الاستعمار الحديث ، الاستعمار الحديث سار في هذا الطريق واتخذ لذلك مسالك ووسائل شَيْء منها التعليم والتربيَّة عن طريق المدارس الأجنبية التي تتبع الارساليات التبشيرية أو تتبع المؤسسات الأجنبية وقد نظمت أحسن تنظيم وأدبرت بأحسن ما تقوم به الادارة ، حتى يتربَّع الناس في دخولها وتربَّع بالذات أبناء الطبقة الذين يسمونهم الطبقة الراقية والطبقة الاستقراطية الذين يهُمُون ليحكموا البلاد فيما بعد ، ومن لم ينضجِّه هذا التعليم وأرادوا له تمام الانضاج أرسلوا إلى أوروبا إلى بلاد الاستعمار الأم ليكمل إِنضاجه هناك ليتم طبعه هناك ليعود إنساناً آخر يحمل إِسماً عربياً إسلامياً أو شرقياً ، ولكتبه يحمل في رأسه عقلاً أوربياً ، ويحمل في صدره قلباً أوربياً ، تغيرت أفكاره ، تغيرت مشاعره ، حتى عواطفه نحو القوم ، فأصبح ينظر إليه بالاحتراف ، وانسلخ عن القوم ، فهو مسلم بالاسم وبالعنوان أو عربي أو هندي بالدم والعنصر ولكنه بالتفكير والعاطفة إنسان آخر ، هذا ما كان يصنعه الاستعمار في ذلك الوقت ، ولم يكتف بهذا بل أراد أن يوسع القاعدة ففتح المدارس لقطع كل من يريد التعلم وبدأ يشرف عليه في بلاد إسلامية في مصر في الهند ، في مصر ، وفي مصر كان يشرف على ذلك التعليم قسيس معروف مشهور ، كان المستشار المخطط المدير والرأس المفكر وراء التعليم في مصر المستشار «دلو» ، كان قسيساً انجليزياً صليبي النزعة هو الذي وضع أسس التعليم وأشرف على تطبيقه وإدارته في مصر في ذلك الوقت ، وكذلك في الهند ، فالذي يقرأ كتاب شيخنا الأستاذ أبي الحسن الدوسي «الصراع بين الفكرة الإسلامية وال فكرة الغربية » يجد فيه نماذج لهذا التعليم وعقول العلماء والمفكرين المسلمين في وجه هذا التعليم وكلنا يذكر كلمة

ومن هنا وجدنا إذاعة لندن تذيع القرآن الكريم وإذاعة إسرائيل تذيع القرآن الكريم وصوت أمريكا تذيع القرآن الكريم لا مانع من هذا لأنهم مطمئنون أن إذاعة القرآن الكريم لا يحرك من المسلمين ساكناً ، ولا ينبع فيهم غافلاً ، ولكن العقول عزلت عن هذا القرآن عن طريق الغزو الفكري ، وكذلك قالوا : ليس من الضروري أن نهدم المساجد أو نمنع إقامة المساجد لأننا إذا فعلنا ذلك لاغرينا الناس بكثرة بناء المساجد ، و المسجد الذي يهدم اليوم سيبني مكانه غداً أحسن

منه ، ويزين ويُزخرف وتقام له مآذن ومنابر عالية رفيعة تناطح السحاب ، وهكذا كان الغزو الفكري الواسعة الفعالة لتبديل نفسية المسلم وعقلية سلوك المسلم ، وهذا ما سار فيه الاستعمار الحديث ، الاستعمار الحديث سار في هذا الطريق واتخذ لذلك مسالك ووسائل شَيْء منها التعليم والتربيَّة عن طريق المدارس الأجنبية التي تتبع الارساليات التبشيرية أو تتبع المؤسسات الأجنبية وقد نظمت أحسن تنظيم وأدبرت بأحسن ما تقوم به الادارة ، حتى يتربَّع الناس في دخولها وتربَّع بالذات أبناء الطبقة الذين يسمونهم الطبقة الراقية والطبقة الاستقراطية الذين يهُمُون ليحكموا البلاد فيما بعد ، ومن لم ينضجِّه هذا التعليم وأرادوا له تمام الانضاج أرسلوا إلى أوروبا إلى بلاد الاستعمار الأم ليكمل إِنضاجه هناك ليتم طبعه هناك ليعود إنساناً آخر يحمل إِسماً عربياً إسلامياً أو شرقياً ، ولكتبه يحمل في رأسه عقلاً أوربياً ، ويحمل في صدره قلباً أوربياً ، تغيرت أفكاره ، تغيرت مشاعره ، حتى عواطفه نحو القوم ، فأصبح ينظر إليه بالاحتراف ، وانسلخ عن القوم ، فهو مسلم بالاسم وبالعنوان أو عربي أو هندي بالدم والعنصر ولكنه بالتفكير والعاطفة إنسان آخر ، هذا ما كان يصنعه الاستعمار في ذلك الوقت ، ولم يكتف بهذا بل أراد أن يوسع القاعدة ففتح المدارس لقطع كل من يريد التعلم وبدأ يشرف عليه في بلاد إسلامية في مصر في الهند ، في مصر ، وفي مصر كان يشرف على ذلك التعليم قسيس معروف مشهور ، كان المستشار المخطط المدير والرأس المفكر وراء التعليم في مصر المستشار «دلو» ، كان قسيساً انجليزياً صليبي النزعة هو الذي وضع أسس التعليم وأشرف على تطبيقه وإدارته في مصر في ذلك الوقت ، وكذلك في الهند ، فالذي يقرأ كتاب شيخنا الأستاذ أبي الحسن الدوسي «الصراع بين الفكرة الإسلامية وال فكرة الغربية » يجد فيه نماذج لهذا التعليم وعقول العلماء والمفكرين المسلمين في وجه هذا التعليم وكلنا يذكر كلمة

ذلك الأديب الهندي الشاعر الساخر الذي قال معلقاً على المدارس والكلبات الجديدة قال يا بلادة فرعون ما كان أبداً بالذى أحوجه إلى أن يذبح أبناء بنى إسرائيل ويستحي نسامهم ، لو كان عنده عقل و فكر و ذكاء كذاك المستعمرين المحدثين كان في غنى عن هذا ، كان يستطيع أن ينشئ مدرسة أو كلية لأبناء قوم بنى إسرائيل يلقنهم فيها ما يريد و يريدهم على ما يريد و يصنع الأفكار التي يريد لها لينفذوا بعد ذلك خططات دون أن يريد قوماً ودون أن يضر عليه سوء الأحذوبة في التاريخ ، هذا كلام ساخر و كلام قوى و عميق يدل على قسوة هذا النوع من التعليم الذي يقتل الإنسان و يذبحه بغير سكين ، فالتعليم هو الوسيلة الهامة التي صنعت أنساماً ينتسبون إلى الأسر الإسلامية و يحملون أسماء المسلمين و لكنهم يعيشون بعقلية غير إسلامية و بعاطفة غير إسلامية ، و أضافوا إلى هذا الوسائل الأخرى الكتب الجديدة التي ترجم من اللغات الأخرى و الصحافة الجديدة التي تعلم الناس أفكاراً جديدة ، و تغرس فيهم أفكاراً جديدة و مشاعر جديدة ، و هكذا وسائل الأعلام التي دخلت على الناس في حياتهم وأثرت فيهم تأثيراً كبيراً و تسالت إليهم تسلا كتسلا الأفعى تدب فيهم كأندب الخنزير في رأس شاربها حتى وجد الناس أنفسهم بعد زمن و وجدوا الكثيرين من أبنائهم وقد أنشئوا خلقاً آخر ، أنشأهم هذا الغزو الفكرى خلقاً آخر ، هذه هي الخطورة التي تعرض لها المسلمون في هذا العصر ، ولم يتعرضوا مثلها من قبل في عصر من العصور الأولى ،

لهم واجروا غزو الفلسفه اليونانية و الفلسفه اليوناني الاغريق الذى دخل على المسلمين في وقت من الاوقات و اعجب به كثير من عباقرهم و نوابغهم ، اعجبوا بهذا الفكر و وخاصة أولئك الذين يسمون بفلسفه المسلمين من أمثال الكاذبى و الفارابى و ابن سينا و غيرهم ، و قبلهم من كانوا يسمون إخوان الصفا ، هؤلاء

تأثروا بالفکر اليوناني و قاموا بمحاولات تفكيكية كما كان إخوان الصفا يلفقون بين الإسلام و لفاسفة ، أو محاولة توفيقية أخفقت في النهاية ، و هي محاولة الفارابي و ابن سينا و غيرهما من حاولوا أن يوفقاً بين الفلسفه و الدين ، و لكن للاسف كانت الفلسفه تعتبر كأنها هي الأخرى كلام أرساطو الذي سموه المعلم الأول ، و كان يعتبر هو الحجة والأصل ، وأحياناً فلسفة أفلاطون التي تسب إلها الفلسفه الأفلاطونية الحديثة ، هذا ما فعله هؤلاء ، و قبض الله للإسلام من يدافع عنه في القرن الخامس المجري ، فكان أبو حامد الغزالى الذى ولد سنة أربعينه و خمسين ٤٥٠ المجرية وتوفي سنة (٩٥٥) كان قد هباه الله ليحمل راية الكفاح عن الإسلام وعن العلوم الإسلامية و الثقافة الإسلامية ، أراد أن ينقض الفلسفه من أساسها و يقتلعها من جذورها فقال لابد من دراستها و استيعابها و هضمها أولاً فدرس الفلسفه دراسة عميقة و لخص مقاصدتها و أهدافها في كتاب سماه « مقاصد الفلسفه » ثم كر عليها بال النقد و المدح بسلاح الفلسفه نفسه و بمنطقه هذا في كتابه المعروف « تهافت الفلسفه » خطأ الفلسفه في عشرين مسألة من المسائل الكبيرة والقضايا التي يتبناها وذكر أن بعضها لو قام أحد من نومه وقال إنني حلمت مثل هذا يعتبر هذينما مثل قضية العقول العشرة والغوس الفلسفية والعقل الفعال وأشياء غريبة جداً آمن بها بعض الفلسفه المسلمين .

و كفر هؤلاء الفلسفه في ثلاثة مسائل أساسية ، و فيها مسألة القول بقدم العالم و أنه غير مخلوق .

و المسألة الثانية : أن الله لا يعلم الجزئيات ، و المسألة الثالثة : هي إنكار المعادل الجسماني و أن الأجساد لا تبعث وليس هناك نعيم لهذه الأجساد و لا العذاب لهذه الأجساد ، إنما هو نعيم روحي و عذاب روحي ، وإنكار القيامة وما فيها من الجنة

و النار كما ذكرها القرآن ، كفرم الغزو في هذه المسائل ، والذي دفعه دفع هؤلاء إلى هذا ، لأنهم هدم الفلسفة لأن قضايا الفلسفة قضايا مسلمة ولم يفرقوا بين القضايا العلمية البحتة والقضايا الميتافيزيقية ، قضايا ما فوق الطبيعة والقضايا الالهية والدينية التي لا يمكن أن تعرف إلا عن طريق الوحي ، فلما رأوا عند هؤلاء الفلسفه اليونانيين أشياء تعتبر حقائق ثابتة كفولهم في مسائل الرياضيات والعلوم الطبيعية و الهندسية وغيرها من الأشياء الثابتة ، بعض ما قاله هؤلاء الفلسفه يعتبر الآن أخطاء واضحة للعلم ، حتى قال بعض الفلسفه في هذا العصر ، إن التلميذ في المدارس الابتدائية ليعرف حقائق الكون أكثر مما كان يعرف أرسطو وجالينوس في عصرهما إنهم مثلًا يقولون : إن العناصر في الكون أربعة ، الماء ، والزراب ، والهواء ، و النار ، هذا الأمر أصبح من الظواهر العلمية خرافه ، والعناصر زادت على ذلك ، و الزراب الذي يعتبر عنصرا هو مركب من عناصر عديدة ، والماء ليس عنصرا بل هو مركب من الأكسجين والأدروجين والهواء مركب من عدة عناصر ، وهذا فهذه الأشياء التي كانوا يعتقدونها أصبحت اليوم خطأ اعتقدوا أن الأفلاك أجسام صلبة لا تقبل الحرق ولا الانائم ، ولذلك لما قالوا إن الجنة عرضها السماوات والأرض فعندهم ذلك أنه لا بد أن تكون الجنة في غير هذه الأرض المحددة وإذا لابد للناس أن يخترقوا هذه الأفلاك فكيف يخترقونها بأجسامهم وهي أجسام لا تقبل الحرق ولا الانائم ، إذا لابد من النصوص القطعية الكثيرة المتوافرة في القرآن والسنة عن البعث ، البعث الجسماني « أ بحسب الإنسان أن ان نجمع عظامه » ، قال من يحيي العظام وهي رهيم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ، قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ، وثم النعيم الجسماني ، الأكل والشرب والمحور العين ، و العذاب الجسماني « كلما نضجت جلودهم بدلناهم

جلوداً غيرها ، و مئات من آيات القرآن وأحاديث الرسول في هذا المعنى . كان هذا نوعاً من الغزو أصاب المسلمين ولكن كان خطر ذلك الغزو محدوداً فقد أصاب طائفه معينة ، ولم يصب جمهور الناس .

و لكن الغزو الفكري في عصرنا الحديث كان أشد من هذا كله أشد من غزو الاسرائيليات . . . وأشد من غزو الفلسفة اليونانية لأن القاعدة التي صنعتها هذا الغزو الجديد عريضة ، فقد غزا العقول عن طريق التعليم وعن طريق أجهزة الإعلام وعن طريق المؤسسات الفكرية والجامعية واستطاع أن يؤثر في جمهور ضخم من المسلمين وظهرت آثار هذا الغزو في التربية والتعليم وفي التشريع والقضاء وفي الحكم والسياسة وفي الاقتصاد والمجتمع وفي الأخلاق والأدب ، في المرأة والأسرة ، ونرى آثار هذا الغزو في نواح شتى من جوانب الحياة المختلفة بل رأينا آثار هذا الغزو في بعض المؤسسات التي تنسب إلى الدين وإلى الإسلام و في بعض العلماء الذين يحملون سمة الدين الأصيل من التربية والتعليم ، رأينا الغزو الفكري يشوّه الإسلام ويُمجّد الغرب ، قام التعليم في كثير من بلاد المسلمين على تشويه الإسلام وعلى تمجيد الحضارة الغربية ، تشويه الإسلام في القرآن وفي النبي وفي سيرة رسوله عليه السلام وفي تاريخ رجاله وفي حضارته ، ورأينا تلاميذ المستشرقين في الجامعات وغيرها يبدون هذه الأفكار لابناء الإسلام بل يغرسون هذه الأفكار في الكتب التعليمية وفي صلب المناهج التعليمية فيعرض الإسلام صورة مشوهة و تعرض السيرة النبوية كأنها عبارة عن مجموعة الغزوات لا العرض الذي يبين جمال الرسالة الإسلامية و عظمتها الشخصية الحمدية ، وعظمتها الجوانب الخلقية التي تعمّ بها هذا الرسول ، وتاريخ الكفاح الحقيقي للعدوان على الدعوة الإسلامية ، ويعرض الصحابة الكرام رضي الله عنهم ببحث يظهرون و كأنهم جماعة يقتلون على

غيرها ، وفي الحروب الصليبية استفاد الغربيون من المسلمين في كثير من نواحي العلم و الثقافة و الحضارة الاسلامية ، و هذا - مع الاسف - لا يدرس لأننا ، و لكن يدرس لهم ، أن المسلمين كانوا نقلة للحضارة ، لم يكونوا من المبدعين فيها و لا من المبتكرين ، وكذلك شوهوا تاريخ العثمانيين فيدرس لأننا في بلاد العرب أن تاريخ العثمانيين هو تاريخ الاستعمار العثماني في بلاد الغرب و صوروا الغزو الاجنبي لبلاد العرب فينكرون التار و ينكرون الصليبيين ، و يذكرون العثمانيين الذين دافعوا عن البلاد الاسلامية ، و نشروا الاسلام و أرهبو الغرب الصليبي و حملوا راية الاسلام لعدة قرون ، هؤلاء يقال لهم المستعمرون ، و يدرس هذا لأننا ، الغزو الفكري أكثر في المناهج التعليمية التي ليست صبورة بصبغة الدين بل فيها روح العداء للدين الاسلامي ، بل روح العداء و المجافاة لهذا الدين .

ومن نتائج هذا الغزو الفكري هي الفكرة التي تقول : إن الدين شيء والدولة شيء ، لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة ، كالعمالية المعروفة في المسيحية ، وهذا الفكر مقبول عندنا لأنهم يحكون عن المسيح أنه قال : ما لقيصر لقيصر ، و هذا من الناحية الدينية مقبول و من الناحية الفكرية لدى الذهنية الغربية أيضاً مقبول ، لأن عندها أن الله خلق العالم و ترك ، فهو لا يدبره ولا يشرف عليه ، مثل نظرية أرسطو : إن الله لا يدبر أمر العالم بل لا يعلم شيئاً مما في العالم ، حتى قال مؤرخ الحضارة صاحب « قصة الحضارة » د. ويدورندي ، قال : يا لا إله أرسطو من إله مسكيين ، إنه لا يعرف في الكون شيئاً و لا يدبر فيه أمراً ، فال فكرة عند الغربيين أن الله لا شأن له بالعالم ، معناها أن الدولة في ناحية و الدين في ناحية ، و جاءت تلاميذ « انجلس » نفسه فقالوا : دع ما لقيصر لقيصر ، و ما لله لله ، هذه الفكرة بالنسبة للسلطين مرفوضة تماماً ، لأن الأمر كله لله وهو صاحب الحق والامر وهو الذي

الملك و على الدبña ، هذا هو الذي نرى في الكتب التي تعد لابناء المسلمين ، هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى تمجيد الغرب و كل ما يأني من الغرب ، و تقديس حضارة الغرب و اعتبار الحضارة الاسلامية نسخة من الحضارة اليونانية ، و أن المسلمين ما كانوا إلا نقلة لحضارة اليونان و ثقافة اليونان ، وهم بهذه المناسبة يتنا夙ون الشخصيات الضخمة في تاريخ الحضارة الاسلامية من الأطباء و الممدوهين و الفلاسفة و الجغرافيين وفي كل ناحية ، وأن المسلمين اختاروا العلوم من أساسها ، وأضافوا المنهج إلى العلوم القديمة الجديدة و نقوتها و هذبها ، و هم الذين اخترعوا المنهج الذي يسمى المنهج الحديث ، المنهج التجريدي الذي هو قائم على الاستقراء ، لأنهم من الناحية النظرية نقبوا منطق أرسطو و من الناحية العملية نشأوا على الاستقراء ولم يسيروا على مامشى عليه اليونان ، فقادت الحضارة ساقطة الذرى و تميزت بالجمع بين الجانب الرباني و الجانب الانساني ، بين الابداع المادي و السمو الأخلاقى وبين العلم والايمان و ربطت الأرض بالسماء ، ولكن تشوّهت هذه الحضارة ، و يقال لها إنها كانت النسخة من الحضارة اليونانية هذا مع أن المتصفيين من الغربيين اعترفوا بأن المسلمين هم واضدو المنهج للعلم التجريدي قبل « فرنسيسكو » و قبل « روجر ييكو » ، اللذين ينسب إليهما اختراع و ابتكار المنهج العلمي التجريدي ، هما كما قال « الفلد » في كتابه « بناة الانسانية » إن « روجر ييكو » و « فرنسيسكو » كانوا رسولي الحضارة الاسلامية إلى الغرب ، وهم الذين نقلوا المنهج من الحضارة الاسلامية إلى البلاد الاوروبية كانت اللغة العربية في ذلك الوقت هي لغة العلم في العالم ولا تزال آثار الكلمات العلمية العربية في اللغات الأخرى موجودة ، و بعض الناس أحصوا مئات الكلمات العلمية في تلك اللغات ، كان أساندنة العلم المسلمين هم أساندنة العلم في العالم كانت الكتب العلمية الاسلامية هي التي تدرس في جامعات العالم ، كان الطلاب يأتون إلى الحواضر الاسلامية لينتعلموا منها ، كانوا يأتون لينتعلموا هناك من أوربا و في

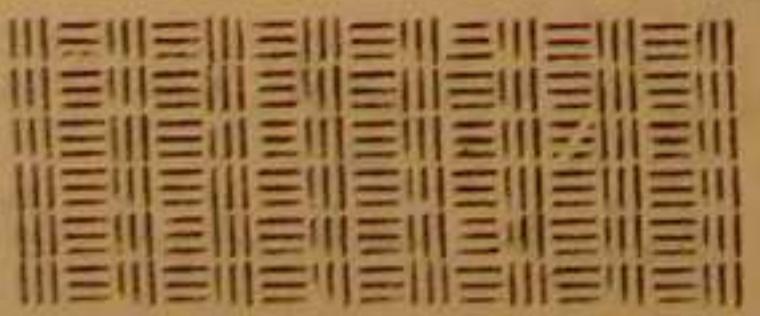
يدبر هذا السكون كله ، ولا يمكن أن يقال بالنسبة للسلم : دع ما قبصر لقبصر وما لله لله ، بل قبصر وما لقبصر لله الواحد القهار . لأن الله ما في السماوات و ما في الأرض ، والله من في السماوات و من في الأرض ، و ليس هناك شيء يخرج عن قبضة الالوهية و تقدير الالوهية ، كل ملك لله .

اما الدين في ناحية ، و الدولة في ناحية وهذه الاجماعية مرفوضة بالنسبة للسلم ، و لم يعرف الاسلام هذه الثنائية أبداً ، و الرسول عليه الصلاة و السلام كان إمام المسجد في الصلوات و قائدتهم في المعركة و حاكمهم في الخصومة ، وزعيمهم في السياسة ، وهو رئيس الدولة ، وهو مبلغ عن الله ، ولم يكن معه ملك آخر يقود الناس و يسودهم ، لا - و الخلفاء الراشدون كانوا كذلك والخلافة كما عرفها علماء المسلمين بنيابة عن رسول الله ﷺ بفرامة الدين و السياسة في الدنيا ، هذه الخلافة هي منصب ديني و دينوی ، و سلطة روحية و زمنية ، ليس في الاسلام سلطاناً ، سلطة روحية و سلطة زمنية ، رجال الكهنوت ، و رجال الدولة و السياسة ، ليس هذا في الاسلام فقط ، الاسلام لا يقبل أبداً هذا الانقسام و هذا الانقسام بين الدين و الدنيا ، و المسلم في صلاته يتدخل في شئون السياسة حينما يقرأ بسورة المائدة « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، « فأولئك هم الظالمون » ، « فأولئك هم الفاسقون » ، و يمكن و هو في صلاته - أن يدعوا الله سبحانه و تعالى المسلمين المضطهدن في سوريا و يدعوا الله لأخوانه المجاهدين في أفغانستان و هو في قلب الصلاة ، فلم يصالح دين الاسلام بين العبادة وبين السياسة ولا بين الدين وبين الدولة ولا بين المصحف و بين السيف إلا بالوحدة التي تجمعهما ، ولذلك لا يعرف الاسلام سلطتين سلطة توجه الروح و سلطة توجه البدن أو العقل ، هي سلطة واحدة ، و ليس هناك أي صراع بين سلطتين ، كما حدث الصراع بين الكنيسة وبين الامراء

و السلاطين و غيرهما .

هذا الاسلام لا يعترف بهذا الانقسام مطلقاً والانسان من جهة النظرة العلمية واحدة ، وليس هناك شيء واحد مثل الروح و شيء واحد مثل البدن هو كيان واحد يرونه و بدنه و عقله ، كيان واحد لا تفارق فيه ، ولذلك يجب أن توجهه سلطة واحدة ، إن الدين بذاتية من الدولة فكرة غير إسلامية ، وهي بالنسبة للسلم كفر بواح ، من قال إن الدين ينبغي أن ينفصل عن الدولة و الدولة تنفصل عن الدين ١

هذه الأفكار جاتت عن طريق الفزو الفكري و أصبح كثير من الحكام و من المتلقين للحكام ومن عبيد الفكر الغربي يعتقدون هذا و يشيرون و ينشرون في الناس و يعلموه لتلاميذه ، إن الدين لا علاقة له بالدولة و الدولة لا علاقة لها بالدين ، ومن آثار الفزو الفكري أيضاً ما يقولونه ، و هي كلمة أصبحت مشهورة « الدين لله و الوطن للجميع » ما معنى هذا ، هذا الكلام يقال لتذويب الفوارق بين الأديان ، يريدون أن ينكروا أن هناك فارقاً بين الاسلام والنصرانية ، والاسلام والهندوكتة ، والاسلام والبوذية ، والاسلام واليهودية ، هذا لا يمكن لأن الله سبحانه و تعالى لا يعرف إلا ديناً واحداً ، و لم يعرفنا إلا بدين واحد « إن الدين عند الله الاسلام » وهو الذي أنزل به كتبه وبعث به رسالته ، كل الرسل يشووا بالاسلام وكل السكتب نزلت بالاسلام ، ليس في الامر أن هناك من حرفاً و بدلواً هذا الدين شجاع محمد ﷺ مصححاً لما حرف ، و متمماً للاديان السابقة بما يقتضي تطور البشرية . ٢ يتبع ،



في مواجهة المشككين الأوليين ، وكيف استطاع رسول الله ﷺ أن يحقق هذين المدفين و هما الوحدة العقائدية و الوحدة الوطنية الإسلامية من خلال أول صحيفه وضعها المجتمع المدينة أوردها ابن هشام في كتابه سيرة رسول الله ﷺ و هكذا نصها (١) .

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي ( ﷺ ) بين المؤمنين و المسلمين من قريش و يرب و من تبعهم فلتحق بهم و جاحد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم (٢) يتعاقلون بينهم و هم يفدون عانيهم (٣) بالمعروف و القسط بين المؤمنين ، و بنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقفهم الأولى (٤) كل طائفه تفتدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين . . . ولا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، و إن المؤمنين المنقين على من بعى منهم او ابتعى دسيعه (٥) ظلم او إثم او عداون او فساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدكم ، و لا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن و إن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، و إن المؤمنين بعضهم

(١) السيرة لابن هشام الجزء الثاني من ص ٩٤ - ٩٨ .

(٢) عن بكرة أبيهم .

(٤) البعض يعنيهم بالأنصار و آخرون يعنيهم بأهل المدينة و نحن نميل للرأي الثاني لأن أكثر من سبب ، أولاً لأن الصحيفه نفسها جاء فيها ذكر بهود بي عوف ، وثانياً لأن الرسول كان يشرك اليهود مع الأنصار في افتداء أسرى الأنصار من المسلمين إلى الحروب .

(٥) أو كما كانوا يفعلون من قبل في افتداء أسراه .

## بعض مقومات الحضارة ونظم الحكم الإسلامية في عهد الرسول ﷺ ( الحلقة الثالثة الأخيرة )

للدكتور عبد الشافي غنيم عبد القادر

دعائم و مقومات نظام الحكم الإسلامي في عهد الرسول بعد الهجرة :

لقد كانت هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ، ليست مجرد حدث هام بين فترتين ، أو حداً فاصلاً بين عهدين ، أو لها يتسم بالنبوة و الدعوة الخالصة و ثانية يتصف بالنبوة و الدعوة و الدولة معاً ، و إنما كانت هجرته ﷺ حدثاً تاريخياً و نضالياً و تنظيمياً و حضارياً إلى أبعد الحدود .

لقد كان الدور المدنى زاخراً بالتطورات الواضحة في مختلف الميادين العقائدية و السياسية و التنظيمية و الاقتصادية و الفكرية ، استكمالاً للأسس الواضحة الأولى التي أرساها رسول الله ﷺ في فترة الدور المأكى .

و قد واجه الرسول في دولته الجديدة عدة مشكلات و قضايا هامة ، كان على رأسها أربع قضايا : (ألف) قضية الوحدة العقائدية و التكافلية بين المهاجرين و الانصار (ب) قضية الوحدة الوطنية لمجتمع المدينة (ج) قضية الجماد في سبيل الله ضد المعتمدين (د) قضية تفصيل ما سبق إيجاده من تشريعات في الدور المأكى بالسور و الآيات المدنية الــكريــة .

و ليس من شك في أن هذه الموضوعات تحتاج إلى مجلدات كبيرة يعجز عنها ذلك البحث المحدود و لذلك فسوف نقتصر على إبراز قدرة رسول الله التنظيمية

موالي بعض دون الناس ، وإنه من تعنتا من يهود فان له النصر ولا سرته غير مظلومين ولا متواصرين عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسلم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت بعنا تعقب بعضها بعضاً ، وإن المؤمنين يبيه<sup>(١)</sup> (١) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يجير شرك مala لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اغتبط مؤمناً قتلاً عن يينة فانه وديه إلى أن يرضي ولـى المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم والآخر أن ينصر محدثاً لا يرويه وإنه من نصره أو آذاه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيمة . . . وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وأن يهودبني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ول المسلمين دينهم ، موالיהם و أنفسهم إلا من ظلم وأثم ، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا باذن محمد ﷺ وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو استجبار يخاف فساده فان مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا يحار قريش ولا من نصرها وأن بينهم النصر على دهم يُرب ، وإذا دعوا إلى صاح بصاحونه ويلبسونه ، فانهم بصاحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين ، على كل أناس من حصتهم من جانبهم الذي قيام . .

لقد كانت أول مشكلة واجهت رسول الله ﷺ مشكلة المهاجرين من مكة

(١) يرجى مراجعة .

الذين أخذوا يتواذدون على المدينة بعد الهجرة تاركين من خلفهم كل شيء من مال ومتاع وولد ، وكان على رسول الله أن يجاهه ذلك الموقف المؤقت على ما فيه من خطورة وحساسية فبدأ بما يعرف في التاريخ الإسلامي بالمؤاخاة حين كان يأتي بهم أجر من المهاجرين ليضع يده في يد أنصارى من الأنصار أن يكون له أخاً وعوناً ومساعداً وكفيلاً ، ولقد قبل الأنصار المؤمنون بذلك بصدر رحب ندر أن يوجد مثله في التاريخ خاصة ، وإن المهاجرين أخذوا يتواذدون تباعاً ليتحققوا برسول الله في المدينة وبلغ من شدة إخلاص الأنصار لدينهم وحربهم لنبيهم طالبوا بتوريث المهاجرين بل إن بعضهم من أراد أن يقسم نساؤه بمقتضى الشريعة و الحق ، ولكن المهاجرين الذين كانوا يدركون حساسية الموقف أخذوا يعملون بكل جد وإخلاص لكتلة أنفسهم كي لا يظلوا عالة على إخوانهم الأنصار وكانت الأحداث المتتابعة تشارك في حل هذه المشكلة ، خاصة وإن الأنصار قلوا ما عرض لهم الرسول عليهم من اختصاص المهاجرين بجزء من أموال اليهود الذين نقضوا عهودهم مع المسلمين واضطروا للجلاء عن المدينة وانتهت المشكلة نهائياً بغزوه الفتح وعودة المهاجرين إلى ديارهم وأموالهم وعيالهم .

وعلى الرغم من كل هذا فقد حاول بعض المناقفين في المدينة أن يستغلوا هذه الظاهرة لبث الفرق بين الأنصار والمهاجرين وبذر بذور الشقاق بينهم تارة باذاته نيران خلافات مفتعلة بين الجانبيين كما حدث بعد غزوة بنى المصطلق حين اختلف أحد الأنصار ويدعى سنان بن دبر الجئي مع واحد من المهاجرين ويدعى جهجاه ابن مسعود الغفارى فنادى سنان « يا للأنصار » ونادى جهجاه « يا لمهاجرين » وشهر بعض المهاجرين والأنصار السلاح في وجه البعض ، وكادوا يقتلون لولا أن تداركهم الرسول الحاكم والمنظم ، وقال لهم : « ما بال دعوى الجاهلية دعوا

أما عن المبادئ التنظيمية التي أرسّتها الصحيفة « الدستور » حكم دولة المدينة

بعد هجرة الرسول إليها ، فيمكن أن نلخصها فيما يلي :

أولاً : النص على أن مجتمع المدينة يتشكل من كل المواطنين المسلمين أنصاراً ومهاجرين (الموجودين وقت وضع الصحيفة والوافدين) والذميين من اليهود أو من قد يوجد من كفار أو مشركين ، ومن هذا النص كسب الذميين بعد ذلك كل ما لهم من حقوق في الدول والدوليات الإسلامية المتعاقبة . ومن هنا كان النص في نظام الحكم الإسلامية على الوحدة الوطنية التي يمكن أن يعيش في ظلالها المسلم والذمي في إطار القواعد والقوانين المنظمة لهذه المواطننة .

ثانياً : و تفريعاً على هذا أصبح أمن المدينة في الداخل والخارج مسئولة كل مجتمع المدينة ، وكل إثارة ل الفتنة أو الاستعارة بعده المسلمين عليها يقضى في مده و من هنا كانت موافق الرسول عليهما من المذاقين و من يهود ابن قبيح ويهود بن قريظة و يهود بن النضر ، و بنود هذه الصحيفة تحمل أبلغ رد على محاولات بعض المستشرقين المتعصبين الذين يؤكدون سياسة الرسول المسبقة في التخلص من يهود المدينة ولكن الحقيقة التي لا شك فيها أن كل واحدة من القبائل اليهودية كان طردها من المدينة يرجع قبل كل شيء إلى نقضهم لبنيود الصحيفة التي وقعا عليها ، فبنو قبيح من اليهود حارلوا بذر بذور الفتنة عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام ، و بنو النضر ، فأنهم رغم نامرهم على قتل الرسول بعد غزوة أحد رفضوا أن ينفذوا ما نصت عليه الوثيقة من اشتراكهم مع الأنصار لفك بعض أسرائهم ، أما بنو قريظة ، فقد ارتكبوا جريمة الخيانة العظمى باتصالهم بأعداء المسلمين في موقعة الخندق .

ثالثاً: غلبة الوحدة العقائدية على العصبية القبلية ، فملaque المؤمن بالمؤمن من فوق صلة

هذه الكلمة فإنها فتنة ، و سرعان ما سكنت الفتنة .  
ولقد بذل عبد الله بن أبي بن سلول رأس المذاقين في المدينة جهوداً مضنية لذر وحدة هذه المزاواة حقداً منه على الرسول الذي أفقده سيادة يثرب التي كاد يليس شارتها قبيل وصول محمد إلى المدينة و كثيراً ما كان يحضر تابعيه على طرد المهاجرين و عودة الحال إلى ما كان عليه المدينة قبل الهجرة وإقامة الدولة والنظام الإسلامي ، وكان دائماً يقول لقومه « أو قد فعلوها قد نافرنا و كانوا نافرنا في بلادنا و الله ما عدنا و جلايس قريش ما قال القائل « سين كلبك يأكلك أما والله ليخرجن الأعز منها الأذل » .

غير أن كل هذه المحارلات بامتثال الفشل أعددت أسباب منها :  
أولاً : دقة التنظيم الذي وضعه الرسول حكم المدينة و عدالته و مثاليته و قدرته الأصلية بالإضافة إلى سرعة حركته و وجوده عند كل فتنه لاطفائها قبل استفحال شرها .

ثانياً : توقيع الجميع على الصحيفة « الدستور » التي وضع الرسول بنودها و وافق الجميع على احترامها .

ثالثاً : ضعف العصبية القبلية شيئاً فشيئاً بين الأنصار والمهاجرين وإحلال العاطفة العقائدية و الروحية و اليمانية مكانها .

رابعاً: بمرور الزمن أخذت مشكلة المهاجرين تحل نفسها بنفسها للأسباب التي سبق أن ذكرناها .

خامساً: انكشف أمر المذاقين خاصة بعد موقفهم من حادث الإفك بالدرجة التي جعلت ابن عبد الله بن أبي بن سلول يطلب من الرسول أن يأذن له في قتل أبيه و رفض الرسول .

القرابة و المؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس ولا يخالف مؤمن مولى مؤمن دون استشارته و المؤمنون على من بني هم ، ولو كان ولد أحدهم و لا يقبل مؤمن مؤمناً في كافر و لا ينصر كافر على مؤمن وسلم المؤمنين واحدة . . . لخ . رابعاً : حق الذميين في إقامة شعائرهم الدينية و البقاء على ديانتهم مكفول لهم كما هو مكفول للسلطين تماماً سواء بسواء ومن هنا كانت جدران المساجد تلاصق جدران الكنائس في البلاد الاسلامية على اختلاف اتساعها ، وليس على الذي إلا أن يدفع الجزية والخارج نظير ما يدفعه المسلم من زكاة وعشور وضريبة دم ، وكلها من الأمور التي وضع رسول الله ضوابطها بما أنزله الله عليه من آيات ينبع منها عنده من أحاديث . خامساً : الفصاص العادل ، أمن المجتمع لا يهدن فيه ذو نسب أو صلة أو قرابة حتى ولو كان من المسلمين .

سادساً : المرجع الأخير لاي خلاف يقرون حول بنود هذه الصحيفة ، وكل إلى رسول الله ﷺ الذي يستمد مصدر تشريعاته من القرآن الكريم . سابعاً : يحرم على كل مقر لهذه الصحيفة أن يتومر عدوأً أو ينصره أو يفعل مامن شأنه إضعاف الدولة الاسلامية .

ثامناً : لما كان اليهود غير مطالبين بالانخراط في جيش المسلمين نصت الصحيفة على واجبهم في نمويل حروب المسلمين كجزء من الدفاع عن سلامتهم وأمنهم ، وهكذا كان رسول الله ﷺ المشرع الأول ليس فقط لأصول العقيدة الاسلامية و فروعها وإنما أيضاً للحضارة الاسلامية ، ونظم حكمها و على نهجه سار من آتى بعده .

# الدعوة الاسلامية

و قد بدأ الله عمداً جديداً منذ وفاته بجعل خلافة النبوة مكان الخلافة الالهية ، ففي صحيح مسلم الذي يعتبر الكتاب الثانى للحديث في الإسلام . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كانت بنو إسرائيل تسمىهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى ، وأنه لا نبى بعده ، و ستكون خلفاء ، و أول خليفة للرسول ﷺ هو أبو بكر رضى الله عنه ، و منذ ذلك الوقت و لا يزال هذا العهد مستمراً إلى يومنا هذا من غير انقطاع ، فالآية التي تعتبر أساس الخلافة هي ما قاله الله تبارك و تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات لبسخلفتهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، و ليكن لهم دينهم الذي أرضي لهم و ليبدئنهم من بعد خوفهم أمراً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » ( التور / ٥٥ ) .

هذه الآيات القرآنية لا تحرى مسألة الخلافة وحدها ، و لكنها تشتمل على حقيقة الخلافة و شروطها و مصالحها ، و هي تتضمن خمس كلمات تتراوحاً بالشرح لكي يتضح الموضوع .

١- الاستخلاف : معناه في اللغة العربية جعل المرء خليفة أو حاكماً ، فهو يجمع بين المعانى المادية و الروحية ، و الدينية و الدنبوية في وقت واحد ، و يعني نوعاً من السيادة ، و يحسن بنا أن نسوق بعض الآراء التفسيرية لهذا اللفظ عدا معناه اللغوى ، فيقول أقدم المفسرين و ثقفهم الإمام ابن جرير الطبرى : « أبورهم الله أرض المشركين من العرب و العجم ، فيجعلهم ملوكها و ساستها (١) » .

و يقول المفسر الشهير البغوى في تفسيره عالم التغزيل :

(١) ابن جرير الطبرى ج ٨ / ١٠٩ .

## الاستخلاف في الأرض ، مفهومه و مصالحه

العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى ( رحمه الله )  
« مغرب »

الدرس الأساسى الذى ينتدى به الجزء الأول من كتاب الله العظيم هو مسألة الخلافة الإنسانية ، أما قصة آدم عليه السلام فيعترف بها كل من اليهود والنصارى ، و لكن الإسلام يشرح هذه القصة كعقيدة مبدئية ، فإن الغرض من خلق آدم عليه السلام وفق العقائد الإسلامية أنه اختير خليفة الله في هذه الأرض ، كما تشير إليه الآية من سورة القرآن الأولى : « و إذ قال ربك للإنسك إني جاعل في الأرض خليفة » و جعله الله خليفة له و سباه آدم الذي أصبح إمام ذريته ، ومن هنا كان آدم خليفة الله و إمام خلق الله في هذه الدنيا ، و كذلك الأنبياء الذين تابعوا بعده في عبودهم وأعمهم كانوا خلفاء الله وأئمة البشر ، هكذا ذكرهم القرآن و سماهم بهذا الاسم مراراً و تكراراً .

إن إبراهيم عليه السلام الذي يعتبر من كبار الأنبياء و الرسل في الإسلام تحدث عنه القرآن فقال : « إني جاعل لك للناس إماماً » و كذلك داود عليه السلام الذي يعتقد المسلمون رسوله يسميه القرآن خليفة فبقول « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض » .

و المسلمين يؤمنون بأن خليفة الله الأخير و إمام النوع البشري هو محمد ﷺ

د ليورهم أرض الكفار من العرب و العجم فيجعلهم ملوكها و مساحتها و سكانها ، و جاء في تفسير البيضاوى :

ل يجعلهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في «الكهم» .

اما العلامة ابن كثير الذى يعتبر تفسيره من أوثق المصادر التفسيرية فيشرح الآية بما يأنى :

د هذا وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أي أمته الناس و الولاية عليهم ، و بهم تصلاح البلاد ، و تخضع لهم العباد » . وهكذا يوجد معنى الاستخلاف في كتب التفسير الأخرى عدا ما ذكرنا ، وانصح بهذا التفسير الذى يثق فيه كافة العلماء والأئمة من المسلمين أن الخليفة يملك السيادة الدينية و الدنبوية و القوى المادية و الروحية في وقت واحد ، و لذلك فلا يمكن أحداً أن يكون خليفة أو إماماً ما لم يمتلك القرى المادية و الروحية على حد سواء و يتصرف فيها وفق أوامر الله .

- ٢- الأرض : ومعنى هذه الكلمة لغة: الأرض والملك مطلقاً . ولكن تعرّيف الأرض هنا باللازم يدل على معنى خاص ، والمراد بها الأرض التي يعتبرها المسلمون مقدسة منذ أن خلقها الله ، و التي سميت في التوراة «بالأرض المقدسة» ، وأورثها الله ذرية إبراهيم عليه السلام ، أما اليهود فان لديهم مفهوماً محدوداً لهذه الأرض المقدسة حيث لم يتم تحديدها بين فلسطين التي كانت موطنهم الأصلي ، ولكن الإسلام يراها أرضاً يسكنها ذرية إبراهيم عليه السلام إلى الآن ، و ظلت مقاماً و مقرأً للرسل عليهم السلام من قديم ، وأعني بها تلك البقاع التي يحيط بها الرافادان من دجلة و الفرات ، و بحر الشام و البحر الأحمر و المحيط الهندي و الخليج العربي ، والتي يقع فيها العراق و الشام و الجزيرة العربية ، و بما أن هذه البقاع كلها يحيط بها

البحار من جوانبها الأربع عبر عنها الرسول ﷺ بجزيرة العرب ، و أمر بصيانتها عن كل عدو ان كافر و احتلال غير شرعى ، و ذلك لكي تبقى حياة الاسلام الخالصة على صفة دائمة .

والحاصل أن مركز الخلافة الامامية الذي هو بمثابة القلب لها هو هذه الجزيرة العربية ، و إن مناطقها تزيد و تنقص حسب الظروف والأحوال ، فقد كانت منطقة الخلافة محدودة في عهد النبي ﷺ إلى شبه الجزيرة العربية ، و لكنها اتسعت في عهد الخليفة الأول رضي الله عنه إلى حدود العراق و الشام ، و لما جاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسعتا إلى ثغور مصر في جانب و إلى إيران في جانب آخر ، و لكنها توسيع في عهد الخليفة الثالث رضي الله عنه إلى إفريقيا و تركستان ، و لكنها توزعت في عهد الخليفة الرابع رضي الله عنه إلى قسمين ، وكانت الجزيرة العربية و العراق و العجم يد على رضي الله عنه ، و انتقلت الشام و مصر و إفريقيا إلى معاوية رضي الله عنه ، و لما بايع المسلمين معاوية رضي الله عنه بعد وفاة علي رضي الله عنه و بعده إلى آخر عهد بنى أمية ١٣٣هـ امتدت أرض الخلافة من إسبانيا إلى أرض السندي ، و اتسعت بين القارات الثلاث أوروبا و آسيا و إفريقيا ، و لما جاء عهد الخليفة العباسية لم تتجاوز حدود خلافتهم من مصر إلى إفريقيا و أوروبا و لما انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر بعد انتقامها في بغداد انكسرت حدودها بين مصر و الشام و الجزيرة العربية وحدهما ، و حينها انتقلت الخلافة إلى العثمانيين في سنة ٩٢٣هـ شملت القارات الثلاث مرة أخرى ، أوروبا و إفريقيا و آسيا .

انصح بهذا التفصيل أن الأرض المقدسة في كل عصر كانت الجزء الأصيل

و هذا الجزء من آية الاستخلاف يصرح بأن الغاية من الخلافة الهاشمية هي أن ينال دين الله الذي ارتضى لهم (الإسلام) قوة و تحكماً، حيث يكون هذا الدين و أتباعه فيأمن من حملات المعتدين و ظلم الظالمين، ولا يواجه الإسلام أخطار الظالمين المعتدين من أمثل «بنخت نصر» و «جندىز» و «هولاكو» وأمثالهم. و سباقي آراء المفسرين حول الموضوع .

٤- تبدل الأمان بعد الخوف : واجه الإسلام فور ظهوره في الجزيرة العربية بازاء دعوته إنكاراً و عداواناً و معاناة من الظلم والجور، ففترة ثلاثة عشر عاماً الأولى حافلة صفحاتها بقصص هذا الظلم والعدوان، ثم أمر الله سبحانه بتأسيس الخلافة الهاشمية لكي يعم في العالم الأمان و المدحوه، و لذلك فإن آية «وليدلهم من بعد خوفهم أمنا» توضح الغاية الثانية لوجود الخلافة الهاشمية . وهي أن يعيش المسلمين في ظلها بأمن و سلام، و تأييداً لهذا التفسير أنقل هنا كلاماً يتحد فيه المفسرون بأجمعهم .

و القصد من ذلك أن يتدعم بنيان صرح الإسلام ، فقد كان المسلمين في المدينة المنورة أجبروا على أن يكونوا في تسلح تام لصيانته أنفسهم ، حتى طال عليهم العهد بالسلاح و تبرموا من هذا الأسلوب للحياة ، و حضروا الرسول ﷺ و رجوا منه أن ينجيهم منه فوعده الله بأنه سيسْتَخْفِفُ بهم و ليدلهم من بعد خوفهم أمناً .

إن تاريخ آسيا و أوروبا و أفريقيا خير شاهد على أن خطر المحتل و الخوف لا يزال قائماً في هذه الدنيا مثل ما كان قبل اليوم بأربعة عشر قرناً ، و هل بعد وقائع واحدات إسبانيا و سبلي ، و كريت ، و مالطا ، و هرقلية ، و بوسينا ، و اليونان ، و بلغاريا ، و مقدونيا ، و سيرنا ، و الروم و أرمينيا

للخلافة ، والأقطار الأخرى انضمت إليها بحكم مقر الخليفة وعاصمة الخلافة و مراكز الجيش ، ولكنها ينبغي على كل حال أن تكون مساحتها الأرضية في كل زمان حسب المدح ، بحيث يمكنها صيانة كأنها من الحكومات الغير الإسلامية التي تحيط بها في ذلك الوقت .

و بعد هذا الشرح ندل بشهادات للفاسدين المؤوثق بهم حول كلمة الأرض ، يقول العلامة ابن كثير الذي يعتبر من كبار المفسرين ثقة و صحة روایة : «هذا وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه س يجعل أمه خلفاء الأرض . . . و قد فعله . . . فإنه ﷺ لم يمتحن حتى فتح الله عليه مكة و خير و البحرين و سائر جزيرة العرب و أرض اليمن بكلها و أخذ الجزيرة من مجوس هجر ، ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم و صاحب مصر و الإسكندرية و ملوك عمان و النجاشي ملك الحبشة » .

و يقول العلامة الزمخشري الذي يعتبر من كبار المفسرين أدباً و أسلوباً . «وفي الله بوعده و ملك المسلمين أولاً الجزيرة العربية ، ثم فتحوا بعدها بلاد الشرق و الغرب » .

و جاء في غرائب القرآن : «فوفي الله وعده وملكهم الجزيرة العربية وأورثهم علامة كسرى وخزانته » . و يقول ابن الأعرابي :

« المراد بالأرض بلاد العرب و غيرها من البلدان » . اتضح بهذه التصريحات كلما أن الجزيرة العربية هي بمثابة الأصل في أرض الخلافة الموعود بها ، و يدخل ضمنها بلاد أخرى كذلك .

٣- تمكن الدين : جاء هذا التعبير في الآية المذكورة «وليدلهم من دينهم الذي ارتضى لهم» .

و ما إلى ذلك من الدول هل بعدها من شك في هذه الحقيقة الناصعة .  
٥- عبادة الله و عدم الاشراك به : يشير الله سبحانه في هذه الكلمات إلى غاية الاستخلاف و اليكرين في الأرض و تبدل الخوف أمناً ، و معنى ذلك أن المسلم إنما يبعث إلى هذا العالم بدعة خاصة من الله سبحانه ، له من العقائد والعبادات ما يختص به ، و له من العلوم و الثقافات و المدنية و مهيج الحياة ما يختص به ، ولذلك فإن مبدأ قوة الخلافة المادية يتنى على مصالحة أن المسلم يجب عليه أن يسر على حياته الروحية و مدنه المادية الخاصة به .

ومن يستطيع أن يتباًأ بأن تاريخ العالم في المستقبل لا يكون حافلاً بالأحداث والحروب مادام التاريخ القديم زاخراً بها ، ولذلك فإن المسلمين في هذا العالم الواسع مدفوعون بحكم العقبة إلى أن يطالبوا لأنفسهم بالأمن والسلام من الجماعات الإنسانية الأخرى و تلك هي الخلافة التي ظلت قائمة في العالم منذ بدء الإسلام إلى الآن ، و متبقى قائمة في المستقبل أيضاً ، كما وعد الله بذلك ، يقول العلامة ابن

كثير في آخر تفسير هذه الآية :

« فالصحابة رضي الله عنهم لما كانوا أقواماً الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله عز وجل وأطوعهم الله و كان نصرهم بحسبهم و أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب وأيدهم تأييداً عظيماً و حكموا في سائر البلاد، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم ، و لكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال لا تزال طائفـة من أمـة ظـاهـرـين عـلـى الـحـقـقـةـ لا يـضـرـهـمـ مـنـ خـذـلـهـ وـ لـاـ مـنـ خـالـفـهـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، وـ فـيـ روـاـيـةـ: حـتـىـ يـأـتـىـ أـمـرـ اللهـ وـ هـمـ كـذـلـكـ ، وـ فـيـ روـاـيـةـ حـتـىـ يـقـاتـلـونـ الدـجـالـ ، وـ فـيـ روـاـيـةـ: حـتـىـ يـنـزـلـ عـبـيـسـيـ ابنـ صـرـيمـ وـ هـمـ ظـاهـرـونـ ، وـ كـلـ هـذـهـ روـاـيـاتـ صـحـيـحةـ وـ لـاـ نـعـارـضـ يـهـنـهاـ .»

## تعليم المسلمين و تربيتهم العامة

سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسيني الندوى

تعريب : الأستاذ شمس الحق الندوى

### تعليم الأميين و تربيتهم :

يعرف الجميع أن بعثة النبي ﷺ كانت في أمة أمية جمعها أو كادت ، حتى ذكرت هذه الأمة باسم الأميين في القرآن حيث تناول القرآن ذكر بعثة النبي ﷺ و تعليمه للناس فقال « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم » و مع هذه الآية كانت هذه الأمة في ضلاله لا يعبر عنها بأصدق من القرآن حيث قال « و إن كانوا من قبل لف ضلال مبين » و قال أيضاً : « و كنتم على شفا حفرة من النار » و ما كانت غاية بعثة النبي ﷺ تعليم هذه الأمة الأمية الجاهلة بربها العليم فقط بل كانت غاية بعثته تعليم الكتاب و الحكمة علماً . و تهذيب أخلاقها و تزكيتها نفوسها ، و تفويض منصب المعلم و المادي المصلح إليها مع تحليتها بخصال الملائكة كما جاء في القرآن الكريم « ينلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة » . لم تكن تكفي ولا تغنى لاحداث ثورة في مثل هذه الأمة العظيمة أية مدرسة كبيرة أو المدارس الكثيرة ، و هي لم تكن ترغب في التعليم و التربية بل لم تكن تهيا لسماع كلمة ما فكيف ، إذا لم تكن هناك أى مدرسة ، و في مثل هذا الوضع ، حيث لم يكن يوجد هناك معلمون و لا طلبة مدرسة واحدة ، إذا قامت

## البعث الاسلامي

بالمعاشرة والاجتماع والمعاملات مع الناس وعلى سبيل المثال - لم تكن تعلم هناك أصول السباحة وقواعدها على البر ولا على الاردي بل كانت تعلم وتمرن بها في تيار الحياة - فلن تعلم كلمة الاسلام وآمن بالله ورسوله شد المئزر وشر في طلب معرفة رب بدلًا من طلب الرزق والسعى له ، ولم يبال بنفسه في طلب الدين والعمل به ولم يتبع به بديلاً من أغراضه الدنيوية النافمة ، بل انه كان يواجه بعد إيمانه محنة ويلقى نفسه في شدائـ المصائب والألام ، ثم يخرج منها سعيداً عزيزاً بعد مدة من الزمن كما يخرج الابريز عن النار .

النفوس لا الرسوم :

كان هذا التعليم تعليماً عملياً في ميادين الجهاد ومسئوليـات الحياة وفتـة البيوت ومنازل السفر ، ولم تكن أجهزة هذا التعليم الرسوم الجامدة بل كانت أجهزة ثم تعلـنا القرآن ، وـ بقوـة هذا الإيمـان وـ طلـبـهم الصـادـق تـركـوا دـارـهم وـ تحـمـلـوا المشـاقـ فيـ سـيـلـهـ ، وـ كانـ يـسـعـيـ كلـ فـردـ مـنـهـ لـبنـالـقـدرـ الـلـازـمـ مـنـ الـعـلـمـ ، وـ كانـ يـعـدـ السـفـرـ فيـ سـيـلـهـ عـبـادـةـ وـ الحـنـةـ جـهـادـ ، وـ الموـتـ فيـ سـيـلـهـ شـهـادـةـ ، وـ كلـ مـتـعـلـمـ يـرىـ هـنـاـ وـاجـهـ أـنـ يـعـلـمـ الآـخـرـينـ مـاـ هـوـ يـعـلـمـ .

إن هذا الأسلوب لتعليم الدين أسلوب طبيعى سهل كأسلوب تعليم اللغة بين أصحابها وناطقـهاـ - كذلك تعليم الدين بالاختلاط مع الناس وبصحبـهمـ ، وـ التعليم بالـنـفـوسـ بدلاً من الكـتبـ والـرـسـومـ أـسـلـوبـ الأـنـيـاءـ ، وـ بالـأـخـصـ مـيـزـةـ تعـلـيمـ سـيـلـناـ مـحـمـدـ مـكـتـبـهـ الذـىـ لمـ يـكـنـ أـسـلـوبـ التـعـلـيمـ عـنـدـهـ النـقـلـ مـنـ كـتـابـ إـلـىـ كـتـابـ آـخـرـ - بلـ كانـ النـبـيـ مـكـتـبـهـ يـأـخـذـ مـنـ رـبـهـ وـ يـكـتـبـ عـلـىـ الـوـاحـ القـلـوبـ ، ثـمـ يـعـلـمـ بـهـمـ الآـخـرـينـ . وـ بهذا الأـسـلـوبـ يـسـتـطـيـعـ مـلـاـيـنـ مـنـ النـاسـ أـنـ يـتـعـلـمـ الـعـلـمـ الـضـرـورـيـ فـيـ مـدـةـ يـسـيـرـةـ ، كـاـنـ هـذـاـ أـسـلـوبـ يـخـلـوـ مـنـ نـقـائـصـ الـعـلـمـ وـ التـأـثـيرـ إـلـىـ طـالـماـ تـوـجـدـ فـيـ التـعـلـيمـ الـلـفـظـيـ .

هـنـاكـ مـدـرـسـةـ أـوـ مـدـارـسـ لـبـقـيـتـ فـائـتـهـ وـ تـأـثـيرـهـ مـحـدـودـةـ مـقـصـورـةـ وـ لمـ تـنـجـحـ أـكـثـرـ مـنـ أـنـ يـتـعـلـمـ فـيـهـ عـدـةـ أـفـرـادـ مـنـ الـأـذـكـيـاءـ وـ الـرـاغـبـينـ فـيـ الـعـلـمـ مـعـ إـعـاجـبـهـ بـأـنـفـسـهـ وـ زـعـمـ بـأـنـهـ طـبـقـةـ خـاصـةـ مـتـازـةـ مـنـ بـيـنـ النـاسـ أـجـعـينـ ، وـ لـكـانـ قـدـ اـخـسـرـ الـعـلـمـ فـيـ مـكـانـ وـاحـدـ وـ فـيـ طـبـقـةـ مـحـدـودـةـ فـضـلـاـ عـنـ أـنـ يـنـتـشـرـ فـيـ النـاسـ كـلـهـ .

لـابـدـ مـنـ الـإـيمـانـ قـبـلـ الـعـلـمـ :

إنـ الأـسـلـوبـ الذـىـ اـخـتـارـهـ النـبـيـ مـكـتـبـهـ لـلـثـورـةـ الـعـامـةـ بـتـوـقـيقـ مـنـ اللهـ هوـ مـعـجـزـةـ بـذـاتـهـ نـظـرـآـ إـلـىـ نـجـاحـهـ وـمـنـجـزـاهـ وـنـظـرـآـ إـلـىـ حـكـمـهـ وـسـمـوـلـهـ أـيـضاـ ، فـقـدـ نـفـخـ النـبـيـ مـكـتـبـهـ أـولاـ فـيـ هـذـهـ الـأـمـةـ رـوـحـ الـطـلـبـ الصـادـقـ لـلـدـينـ ، وـ الشـعـورـ بـحـاجـةـ الـدـينـ وـ عـلـمـهـ ذـلـكـ لـكـيـ تـقـ وـ تـوـمـنـ بـوـعـدـ اللهـ - روـىـ عـنـ صـحـابـيـ رـضـىـ اللهـ عـنـهـ «ـ تـعـلـمـنـاـ الـإـيمـانـ

مـدـرـسـةـ سـيـارـةـ عـلـمـيـةـ :

كـانـ بـدـاـيـةـ هـذـاـ تـعـلـيمـ وـ التـعـلـمـ مـنـ أـوـلـ يـوـمـهـ بـتـطـيـقـ الـعـلـمـ مـعـ الـعـلـمـ ، وـ الـعـلـمـ مـعـ الـعـلـمـ ، وـ كـذـلـكـ تـطـيـقـ الـعـلـمـ مـعـ الـتـعـلـيمـ وـ التـعـلـمـ . وـ كانـ الـمـجـتمـعـ الـاسـلـامـيـ كـمـهـ مـدـرـسـةـ عـلـمـيـةـ سـيـارـةـ وـاسـعـةـ النـطـاقـ ، كانـ كـلـ فـردـ مـنـ هـذـهـ مـدـرـسـةـ طـالـبـاـ بـنـفـسـهـ وـ مـعـلـمـاـ لـلـآـخـرـينـ ، ثـمـ لـمـ تـكـنـ تـحـفـظـ درـوـسـ هـذـاـ عـلـمـ فـيـ الـخـلـوةـ ، بلـ كانـ تـشـبـتـ مـعـانـيـهاـ فـيـ قـلـوبـهـ بـتـوجـيهـهـ إـلـىـ النـاسـ وـ نـشـرـهـ فـيـ الـجـمـهـورـ مـعـ تـحـمـلـ الـمـشـاقـ ، وـ الـصـبـرـ عـلـىـ مـاـ يـلـاقـونـهـ فـيـ سـبـيلـ ذـلـكـ مـنـ الـمـصـابـ ، وـ كانـ تـشـعـلـ بـهـ مـجـامـسـ الـقـلـوبـ ، وـ كـانـ وـاجـبـ النـعـلـيمـ وـ الـاصـلاحـ وـ تـزـكـيـةـ الـنـفـوسـ يـتـأـدـيـ عـلـمـياـ .

رمضان ١٤٠٠

## البعث الإسلامي

السفر و الهجرة في سبيل العلم الديني :

بعد هذه الميزة التي ذكرناها آنفاً، كانت هناك ميزة أخرى وهي أن المسلمين دعوا إلى الخروج لمدة من الزمن من بيئتهم وأشقاءهم ليطلبوا العلم، إذ لم تكن العناية بالطلب ميسوراً لهم مع هذه الشواغل والعلائق، وما كان في استطاعتهم في هذا الجو و في هذه الأحوال الخاصة أن يجدوا تغييراً أو انقلاباً في حياتهم، وكانت المدينة مركزاً وحيداً بعد الهجرة حيث كان يوجد جو إسلامي كامل، وكان من المستطاع أن يشاهد هناك الدين الإسلامي في صورة حية متجردة فدعى مسلمو العرب كلهم إلى أن يأنوا إلى هذا الجو الإسلامي في المدينة المنورة و يتعلموا الدين هناك ثم يرجعوا . . ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلو لا نفر من كل فرقه منهم طائفه ليتفقروا في الدين و يبذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يجذرون (التوبه ١٢٢) .

و كان يشترط اطلاع العلم الاجتهد العملي ، و الإشار و التضجيج بالنفس و الذئns و احتمال المشاق إلى حد ما ، كان من امتحان حب الدين و طلبه الصادق أن يستعد الإنسان لترك مألفاته و رغائبه ، إذ أن ترك المألفات و مخالفة النفس أكبر جهاد للمرء و ذلك يتيسر بالهجرة بسهولة إذ أن الوطن جامع لثبات من المألفات و الرغائب و مفارقتها على النفس شاقة جداً ، وهذا الذي يعبر عنه القرآن بالهجرة ، كما قال في المناقين « لا تخذلوا منهم أواباهم حتى يهاجروا في سبيل الله » (النساء ٨٩) .

هذه الآية مدينة ومن المعلوم أن المألفين كانوا يسكنون المدينة المنورة وحواليها فقد جاء في سورة التوبه « و من حولكم من الأعراب منافقون و من أهل المدينة مردوا على النفاق ، فالمراد بها إما أن تكون هجرة المألفين من جوار المدينة إليها

ليس الكتب في الحقيقة إلا ميزاناً يعرف به الخطأ و الصواب ، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « من كان مستينا فلبيستن بمن قد مات ، فإن الحقيقة لا يؤمن عليه الفتنة » ، والوسيلة العظيمة لاقتداء السلف الصالح هي الكتاب ، ولكن الكتب والصحائف العلمية لا تتعذر فوائدتها بدون المعاشرة والأسوة العملية فهي في الحقيقة ذرية الاستفادة الكاملة منها ، ولكن كان من الخطأ أن انكل الناس على الكتاب في اكتساب العلم وافتنهوا به ، الأمر الذي أتى به أن علم الدين أصبح أمراً صعباً ، و صارت دائرة محدودة جداً كذلك ، و حرم أهل الحرف و الأشغال من حصوله و يشوا منه ، ولم يتيسر حصول الدين إلا لنبلة من الأمة و رجال محدودين من كان في استطاعتهم أن يفرغوا حياتهم لذلك ، فانحصر العلم في طبقة صغيرة محدودة ، و بقيت الأمة أكثيرها في جهل و يأس .

ثم إذا صح أن المتعلم يتفاعل مع العلم فلا بد أن نتعرف بأن الكتاب ورسومها يتولد منها الجود الذي لا يحرك ساكناً و لا يثير العواطف الكامنة الخامدة في الإنسان ، ولكن الإنسان المتحرك يثير النشاط و الحماس ، و كذلك لا يحصل فيه صحيح للدين ولا الحكمة العملية بدون الصحبة و الرفقة وبدون الحركة و العمل ، إذ أن عملاً واحداً صحيحاً يكشف الحجاب عن ألف خطأ .

إن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين تعلموا الدين و العلم بالصحبة والخدمة ، فيزعمون معهم في دينهم و علم دينهم إلى يوم القيمة ، و لا شك أنهم كانوا فائزين بحقيقة الدين وروحه كما يصور ذلك الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن مسعود تصويراً صادقاً بلغاً لا يمكن أبلغ منه . فقال عنهم :

« أولئك أصحاب محمد عليهما السلام أبر الناس قلوباً و أعمقهم علماء و أفهمهم تکافأ » .

أو خروج منافق المدينة للجهاد في سبيل الله و ترك الوطن مؤقتاً ، والواقع أن ثمار الدين و علوم الدين تتوقف على الاجتهد الشخصي و عزم المرء على طلبها ، وبالنظر إلى ما عند الله من قبمة الدين وغيرها الله عليه ينافى أن يحصل العلم لرجل بدون طلب منه - على كل حال ربط الله هدایته و رحمة الله على العباد باجتهدهم و سعيهم في سبيل ذلك ، يقول : « إن الذين آمنوا و الذين هاجروا و جاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله » ( البقرة ٢١٨ ) .

يقول الشيخ محمد إلياس في كتاب له وجهه إلى شخص كان يستفيد منه بامكاناته « الأجر على قدر النصب ، لا يساوى من يسعى لغيره مع من يسعى لنفسه » ، جرت عادة الله أنه يعطي الدين لطالب الدين بقدر سعيه و جهده ، فبقدر ما يسعى الإنسان لغرض من أغراضه و يجهد نفسه و يواجه المشاق التي تؤثر على القلب و الجوارح و أحواله ، بقدر ذلك تنزل عليه رحمة الله و يستحق اطفاه و كرمه و لا يدرك المرء عزة ما لم يتحمل قبلها ذلة .

ويتحدث الشيخ محمد إلياس في كتاب له آخر فيقول : بلينا في هذا العصر بالآدبيات بلا ماء ، حتى انتهت استفادة الطبائع من الطبائع ، إننا تركنا تحصيل العلم و الدين بقد المين و عرق الجبين و اكتفينا باستخدام اللسان فقط .

و كتب الشيخ في رسالة له ثلاثة : إن من سنة الله الأزلية التي لا تتبدل و لا تغير أنه ربط المداية بالسعى و الجهد ، فالعلم الذي ينكشف على القلب يذل الجهد و تحمل المشاق إنما هو علم يشرح الصدر ويكشف عن حقيقة العلم والطمأنينة الحقة ، إنه علم يتذوق به صاحبه طعم الإيمان و يتکيف به ، أما ما يحصل من الحق و الصدق بالخطابة و الكتابة بدون جهد و مشقة فلا روح فيه بل هو حجاب في الحقيقة سماها العلامة بالحجاب الأكبر وهو حاجز كبير في سبيل الوصول إلى الله عزوجل .

« يتبع »

# دراسات وأبحاث

كيفية زكاة الذهب و الفضة و الغنم و الابل ، ومقدار الأعداد المأخوذة من الزكاة و بيان أعمال الحج من وقت الوقوف بعرفة و صفة الصلاة بها و بمزدلفة و رمي الجمار وصفة الاحرام ، و ما يحتجب فيه و نفع يد السارق . . و ما يحرم من المأكل . . . . وأحكام الحدود . . . . وأحكام البيوع و بيان الربا ، و الأقضية والنداعي و الأيمان . . . و سائر أنواع الفقه ، و إنما في القرآن جل لو تركناها لم نذر كتف نعمل فيها . فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة ، و لو أن امرأ قال لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً باجماع الأمة ، و لكان لا يلزم إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل و أخرى عند الفجر (١) .

و من المعلوم أن هذه التفاصيل كلها لا توجد في السنة الفعلية المتواترة بل نرى عكس ذلك أن التفاصيل الكثيرة في السنة القولية ، فقولهم « حسبنا كتاب الله » هو ستار للفرار عن العمل بالشريعة السمححة ، يتخذه المارقون عن الدين . و هذا دجل منه و كذب صراح من قباهم ، بأن الإمامين البخاري و مسلم ولدا بعد ثلاث مائة سنة من وفاة النبي ﷺ ، فإن الإمام البخاري هو من مواليه سنة ١٩٤هـ ولد بعد وفاة النبي ﷺ بـ ١٧٣ سنة حسب ، ومع ذلك ليس الإمام البخاري أول جامع للحديث ، بل قد جمع الإمام مالك ذلك المحدث الكبير بمجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة قبل الإمام البخاري بمائة عام ، وقد ولد الإمام مالك في سنة ٥٩٣ يعنى بعد وفاة النبي ﷺ بـ ٨٢ عاماً حسب ، و كان يوجد في ذلك الحين عدد وجيء للصحابة رضي الله عنهم ، أما الذين تشرفوا بصحبة الصحابة ، فقد كانوا في عدد ضخم يربو عددهم على الآلاف وعدا ذلك فقد جمع كبار الصحابة أحاديث

(١) الأحكام ص-٨ - ١٧٩ ج ٢

## الأسائل الخداعية لأنكار السنة

و مكانها في التشريع الإسلامي

فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبللي  
 مدير مجلس الدراسات الشرعية بندوة العلماء  
(الحافظة الثانية الأخيرة)  
 تعریف : محمد صدر الحسن التدوی

الامر الذي يستلفت النظر إلى هذه الناحية المهمة ، هو أننا لو كننا مطالبين باتباع القرآن وحده ، لكان يكفي للقرآن أن يأمرنا باتباع القرآن فحسب ، و كان الجدير أن تشتمل القرآن على آيات من أمثال « أطعوا الله » أو « اتبعوا الله » أو « ابعروا ما أنزل الله » ، ولم تكن هناك حاجة إلى الأمر بطاعة الرسول « أطعوا الرسول » ، و ما أرسلا من رسول إلا بطاعة باذن الله ، و إن تعجب فعجب قوله « أتنا تومن بالقرآن » - و القرآن يأمر باتباع الرسول - و نرفض السنن (سواء كانت قولبة أو فعلية لأن الله تعالى لم يفرق بينهما بل أمر باتباعهما) و الذي زاد الطين بلة هو أن هذه النظرة الخاطئة تشع بحرارة منقطعة النظير .

ويجب أيضاً أن تتأمل فيما إذا كان يمكن العمل بالقرآن بدون اتباع السنة بتفاصيلها ، فقد جاء ذكر الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم . في القرآن الكريم ولكن هل يمكن العمل بهذه كلها بدون السنة ، و الذين يحتاجون بالقرآن بدون السنة نسائلهم في ألفاظ الحافظ أبي بكر ابن حزم رحمه الله تعالى : « في أي قرآن وجدت أن الظهر أربع ركعات وأن المغرب ثلات ركعات و أن الركوع والسجود على صفة كذا ، وصفة القراءة فيها و السلام و بيان ما يحتجب في الصوم و بيان

رمضان ١٤٠٠هـ

البعث الاسلامى

فائل : هذه سمعتها عن النبي ﷺ فكتبتها و عرضتها عليه (١) و عدا ذلك كانت احاديث مكتوبة كثيرة عند العديد من الصحابة (٢) رضي الله عنهم .  
اما الصحابة الذين لم يهتموا بكتابه الاحاديث فكانوا يكرسون جهودهم على حفظ احاديث النبي ﷺ ، وكان الحفظ يحمل وزناً لافتاً عند العرب بالنسبة إلى الكتابة بل كانوا يرون في الكتابة عاراً و هيناً و علامه لسوء الحفظ ، وكذلك نجد هذه الظاهرة مع القرآن الكريم ، فكان القرآن محفوظاً في ذاكرة الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن القرآن كله مكتوباً في زمن النبي ﷺ عند صحابي واحد ، بل وجدت نسخة واحدة منه فقط ، وجمعه زيد بن ثابت بأمر أبي بكر الصديق وإشارة من عمر في مجموعة واحدة ، ووضعت تلك النسخة الواحدة عند أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها ، و بعد ذلك أرسل عثمان في زمن خلافته سبع نسخ نقلها من تلك النسخة إلى العالم الإسلامي كله ، لكنه كان من الصعب العسير أن تصل تلك النسخة الواحدة إلى مئات الآلاف من الرجال و النساء ، فكانوا يحفظونه في ذاكرتهم - كما نرى اليوم - فعلم أن النسخة الكاملة المكتوبة لم تكن لدى أي صحابي في زمن النبي ﷺ ، فهل يصح لأى شخص أن يقول إن القرآن ليس بمحفوظ ، وهل يمكن أن يبق ذلك الرجل مسلماً بعد اللجوء بهذا القول .

و لما لم يكن الأمر كذلك لم يشك الناس في صحة الحديث ، حينما يقال إن الصحابة كانوا يحفظونه ولكن الواقع الذي لا مراء فيه هو أن حفاظ الصحابة للحديث يقولون عدداً عن حفظ القرآن ، وكانوا قد يروون معنى الأحاديث أيضاً ، لكن

(١) تدوين الحديث ص ٦٨ .

(٢) راجع لتفصيل « الرمالة الحمدية » الحاضرة الثالثة ومحاسن الاصطلاح لسراج الدين الباقبى تحقيق عائشة بنت الشاطئ من ص ٢٩٦ إلى ٢٩٩ .

النبي ﷺ ومن المعلوم لدى الجميع أن أبو هريرة رضي الله عنه يبلغ تعداد أحاديثه إلى الآلاف ، وكانت الأحاديث كلها مكتوبة لديه كما نقله الحافظ ابن عبد البر في كتابه الشهير « جامع بيان العلم » ، وأرى أبو هريرة بمجموعة تلك الأحاديث المكتوبة ابن الصحابي الشهير عمرو بن أمية الضمرى ، كما يقول : فأرانا كتاباً كثيرة . وقد عقد الإمام البخارى ترجمة خاصة « باب كتابة العلم » في صحيحه و نقل فيه عدة قصص للصحابة الذين كانوا يكتبون أحاديث النبي ﷺ ، وكانت عدة أحكام مكتوبة عند علي ، وكذلك كتبت عدة أحكام لأبي شاهيني بأمر النبي ﷺ (١) وكذلك كان عبد الله بن عمرو بن العاص يهتم بكتابه الحديث (٢) ويقول أبو هريرة : كان عنده أحاديث كثيرة بالنسبة إلى ، وكان يكتبها باذن النبي ﷺ ، و يقول أيضاً : قلت يا رسول الله أكتب كل ما نسمع منك ؟ قال نعم ! قلت في الرضاء و الغضب ؟ قال نعم ! فاني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً (٣) و يوجد الحديث المحتوى على تلك الموارد بتغيير يسير في الألفاظ ، في سنن أبي داود (وهذا من كتب الصحاح الستة) في كتاب العلم . و أمر أنس (الذى خدم النبي ﷺ عشر سنوات متاليات ، و يبلغ عدد روایاته إلى ١٢٨٦ حدیث ) أبا ناهد بكتابه الحديث فقال : يا بني قيدوا هذا العلم (٤) و جاء في المستدرك أنه كانت عنده مجموعة لأحاديث النبي ﷺ المكتوبة ، فكلما كانت توجه إليه الأسئلة ، يرى الناس تلك المجموعة

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٢١

(٢) نفس المصدر ص ٢٢ .

(٣) تدوين الحديث ص ٦٦ .

(٤) مسند الدارمى ص ٦٨ .

الآيات حسب أهوائهم ، لأنها لم تكن محفوظة ، ولذاك تشوهد الديانة المسيحية و اليهودية .

و بالجملة ثبت من التفاصيل التي قدمت ( و فيها حد الشاذ ) أن الأحاديث الصحيحة لا بد أن يكون روتها عادلين متقيين ضابطين في كل مرحلة ، كما يقول الإمام ابن الصلاح في كتابه : « أما الحديث الصحيح فهو الحديث المستند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ، ولا يكون شاذًا ولا مطلاً (١) » وعلم من هذا الحد للحديث الصحيح أن هذه الشروط كلها يجب أن تتوفر في الحديث الصحيح ، فإذا فات أى شرط منها لم يكن ذلك الحديث صحيحاً . تأملوا بعد ذلك ، إن القرآن الكريم لا يفرض إلى القاضي خيار القضاء على شهادة رجلين عادلين بل يوجهه عليه - سواء كانت تلك القضية قضية مال أو قتل أو حد - كما جاء في القرآن الكريم .

« و أشهدوا ذوى عدل منكم ، و استشهدوا شهيدين من رجالكم ، علم من هذه الآية الكريمة أنه لا بد من قطع يد السارق في السرقة والقتل في القتل على شهادة رجالي عادلين في هذا الزمان أيضاً و لا يخفى على العاقل أن مستوى عدالة الرجال اليوم لا يمكن أن يبلغ إلى مستوى عدالة الصحابة و التابعين لهم بمحسان ، رضى الله عنهم ، إذا سلمنا هذا الأمر فهل يبقى لنا أى مبرر لأن ترك الأحاديث التي رووها الصحابة و التابعون و الذين جاؤا من بعدهم و كلهم متقيون عادلون ، وإن لم تبلغ تلك الأحاديث إلى حد التواتر ، مالكم كيف تحكمون ! تعتمدون على رجل واحد عادل فحسب في قضيائنا الدنيا ولا تبالون بأنفسكم لاجل قول رجل واحد و تصممون العزم على ارتكاب أفعال محاطة بالخطر ، لكن الصحابة لما رروا أحاديث النبي ﷺ قد يبلغ عددهم إلى أربعة و خمسة - وإن

(١) نفس المصدر ص ٨٧٧ .

كيف يثبت من هذا أن ذخائر الأحاديث كلها مختلفة أو مشكوك فيها ، مع علمنا بأن الأحاديث التي تصح عند المحدثين لا يمكن أن تصح إذا لم يكن لها أى شاهد و متابع لأن الحديث الذى يروى عن سند واحد فحسب ، و ليس له متابع و شاهد هو رواية شاذة عند المحدثين ، و إن كان روته عادلين موثوقة بهم - والرواية الشاذة ليست من أنواع الأحاديث الصحيحة - ذكر الحكم أبو عبد الله الحافظ أن الشاذ هو الحديث الذى ينفرد به ثقة من الثقات و ليس له أصل متابع لذاك الثقة (١) .

و قد ذكرنا من قبل أن عدد الرواية لأحاديث الصحيحة قد بلغ في بعض المواقع إلى المآتى ولا تكاد توجد فيها الرواية التي تقل روتها في كل مرحلة عن اثنين عادلين متقيين ، وقد التزم الإمام مسلم في صحيحه أن يذكر أسانيد مختلفة للأحاديث التي قام بتخريمها فيه ، وفي بعض المواقع يتجاوز عدد الرواية العشرة و لأجل ذلك اتفقت جماعة من العلماء كلام أرجامهم أن هذا القسم جبيه مقطوع بصحته و العلم اليقيني النظري واقع به (٢) و رجح هذا القول العالم المحدث الكبير الورع البقظ ابن الصلاح رحمه الله تعالى .

و تقتضى - أيضاً - الآية القرآنية « إما نحن نزلنا الذكر و إنا له حافظون » أن يبقى شرح كلماته الصحيح مع الفاظه وكلماته . لأن الألفاظ القرآنية إذا حفظت عليها ، و لم تكن التفاصيل التي وردت - كالشرح لها - في الأحاديث مصوّنة لا يمكن أن نقول إن القرآن محفوظ ، كما نرى في الديانات السالفـة أن الألفاظ تكاد توجد ولو جزئياً لكن التفاصيل شوهت بتفسير العلماء الذين كانوا يشرحون

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٣٦ .

(٢) نفس المصدر ص ١٤ .

رمضان ١٤٤٠

الموجودة فيها كلها متوترة و ليست هي في الدرجة كالقرآن ) يقى المسلمين به كل الثقة ويؤمنون به للعمل ، ولا نجد أحداً من أولياء الله العلماء الراسخين في العلم من ينكر حجية الأحاديث ، أما الأسماء التي أدرجها المعارض فهم إما متأثرون بالمستشرقين أو ليس لهم أي علاقة وثيقة بالحديث - عدا ابن خلدون - وهم إما زعماء سبابيون أو مصلحون ، ومن المعلوم أن لكل فن رجالاً كما أنا لا نقيم لرأي الطبيب وزناها في تخطيط المباني و لا نرى بأساس في ترك قول المهندس في وصف الدواء لأنّه مرض كذلك لا ينبغي أن تتجاهل هذه الحقيقة الثابتة في أمور الدين .

وقد أسلفنا القول أن أبي رية يحذو حذو المستشرقين وينسج على منوالهم (١) ومن الافتراء السافر على ابن خلدون أنه لا يسلم الأحاديث القولية أو أنه لا يسلم إلا ستة أحاديث ، بل نرى عكس ذلك في مقدمته الشهيرة التي يصرح فيها برأيه عن صحيح البخاري و صحيح مسلم أنها أوثق كتب الأحاديث عندي ، وأنه عقد فصلاً خاصاً به في مقدمته فقال: فصل السادس في علوم الحديث ، وجاء فيها في حجية الحديث : « ومن علوم الأحاديث النظر في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السنن الكامل الشروط لأن العمل إنما وجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار الرسول عليه السلام ، ثم يقول : وكان علم الشرعية في مبدأ هذا الأمر فقلما صرفاً شئ لها السلف و تحروا الصحيح حتى أكلوها و كتب مالك رحمة الله تعالى كتاب المؤطا أودعه أصول الأحكام من الصحيح المنفق عليه . . . و جاء محمد بن إسماعيل البخاري إمام المحدثين في عصره نخرج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح . ثم جاء مسلم بن الحجاج القشيري رحمة الله تعالى ، فألف مسنده الصحيح حذا فيه حذو البخاري في نقل المجمع عليه وحذف المكرر منها و جمع الطرق و الأسانيد و مع ذلك لم يستوعبا الصحيح كله ، و بعد ذلك يعبر عن رأيه في عامة المحدثين : « إن هؤلاء الأئمة على تعددهم وتلاحق عصورهم

(١) راجعوا للتفصيل السنة و مكانها في التشريع الاسلامي .

لم تبلغ إلى حد التواتر - ترفضونها قائلين إنها أحاديث لم تبلغ إلى التواتر (١) لأنها لا من كان همه الوحيدة عبادة الهوى و الرغبات ، و كان لا يجرؤ على هذا القول إلا من كان همه الوحيدة عبادة الهوى و الرغبات ، و كان في قلبه ميل إلى الهروب من أوامر الدين السمححة ، و الحقيقة التي لامره فيها أن أخبار الأحاديث هي حجة عند أهل الحق ، وقد أجمع عليها الصحابة (٢) . أما قول المعارض ، إذا صدرنا أي كتاب آخر . فهذا إشراك بالله ، و هذا دجل منه و اخلاق ، لأن الأقوال التي توجد في صحيح البخاري و صحيح مسلم لو كانت من أقوال الإمام البخاري والإمام مسلم ويسلمها أهل السنة ويصدقونها كالقرآن فكان مثراً لتلك الشكوك والشبهات التي أثارها ذلك الرجل ، لكن هذه الكتب دونت فيما أقوال الله وأقوال الرسول عليه السلام ، فإذا كان الإيمان بأقوال الله و أحاديث الرسول إشراكاً بالله ، فيستحب وجود التوحيد ، وإذا كان هذا إشراكاً بالله . فلم أمر الله في القرآن في مواضع كثيرة باتباع الرسول . و الذين دونوا الأحاديث من الإمام البخاري و مسلم أو من قبلهم من الصحابة أو التابعين فلم يكن أى فرق بينهم وبين زيد بن ثابت الذي جمع القرآن في دفة واحدة و لكنه لم يدون اسماء الصحابة في القرآن ، الذين كانت الآيات القرآنية موجودة عندهم وقت جمعه ، مع أن المحدثين دونوا في كتب الأحاديث أسماء الرواية أيضاً ، فإذا لم يكن القرآن كلام زيد ابن ثابت و عثمان مع أنها دوناه ، فكيف يكون صحيحاً للبخاري و مسلم من كلام الإمامين البخاري و مسلم رجمهما الله تعالى ، ولو دوناهما في مجموعة ، بل هذان الصحيحان يشتملان على قول الله و أحاديث الرسول عليه السلام ، لكنه لا يعني ذلك و حاشا لله - أن المسلمين يقيمون أصحيح البخاري و صحيح مسلم وزنا مثل القرآن ، نعود بالله من ذلك ألف مرة ، ولكن مع هذا ( يعني ليست الأحاديث كل خبر إن لم يبلغ حد التواتر هو خبر آحاد في اصطلاح المحدثين وإن تعددت روايته ، نخبة الفكر ص ٢٥ ،

(٢) راجعوا للتفصيل «رسالة» الإمام الشافعى و مقدمة فتح المعلم للعلامة العثمانى

## دراسة موجزة عن الحكم المثالى في الادارة و التخطيط

الدكتور عماد الدين خليل

هنا ، في ميدان الادارة ، يبدو البون شاسعاً بين الانقلابات العقائدية الشاملة وبين تلك التي لا تقوم على برنامج عقدي شامل ، بين السياسيين العقديين وبين محترف السياسة ، بين أولئك الذين يعتزمون شيئاً لأمّتهم ، وبين الذين لا يعنون إلا أشياء تافهة محدودة لأنفسهم و محسوب لهم . . . وهذا يبدو عمر بن عبد العزيز ، كما كان في كل الجهات ، وكما هو حال كل الذين يتحملون المسؤولية من المسلمين : حركة دائمة لتغيير كل الأوضاع و الانقلاب عليها ، وبصر طامح تغطي رؤياه أبعاد العالم الاسلامي من حدود الصين إلى جبال اليرنـه و من أبواب القسطنطينية إلى أعماق الصحراء الكبرى ، يعزل و يولي ، يهدم و يبني ، و يضع المسؤولين الذين يتحملون الأمانة في كل أقاليم من أقاليم الدولة . ثم هو لا يقف عند هذا فحسب ، بل يظل ينظر - كجده العظيم - إلى هؤلاء المسؤولين بعينين لا تغمضان ، يشد أعصابهم أبداً إلى الحق و العدل ، و يضع نصب أعينهم دوماً شرعة الله ، و سعادة الأمة . إن عمر بن عبد العزيز هنا - كبطل من أبطال التاريخ - لا تعجزه ( الظروف الراهنة ) ، و لا يصدّه ركام عقود طوبلة من أعمال و تقاليد الذين سبقوه ، و إن ( البير و قراطية ) هذا الغول الذي يجثم على صدور أكثر الدول تهدداً و تحضراً ، و يكسر إرادة أشد الانقلابيين عزماً و تصميماً ،

و كفایتهم و اجتهادهم لم يكونوا يغفلوا السنة . . . فاما البخارى و هو أعلاها رتبة ، ويكتب في آخر هذا الفصل : « لأن الشروط التي اعتمدها البخارى ومسلم في كتابيهما بجمع عليها بين الأمة . . . و من أجل هذا ، قبل في الصحيحين بالإجماع على قبولهما من حجة الإجماع على صحة ما فيهما من الشروط المنافق عليها فلا تأخذك ريبة في ذلك (١) » .

و تحدثت عن تأثير تلاوة ذلك الرجل بأن من ينصت لها يخشى لا محالة . فأقول في هذا الصدد : إنه لا عبرة بكثرة التلاوة و تأثيرها العميق بل حذرنا رسول الله عليه السلام من الفرقـة الضالة المارقة عن الدين و بين علمـهـا فقال : سـيـخـرـجـ في آخر الزمان قـوـمـ أحـدـاثـ الأسـنـانـ سـفـهـاءـ الأـحـلـامـ . وـ فـيـ روـاـيـةـ : قـوـمـ تـحـقـرـونـ صـلـاتـكـمـ معـ صـلـاتـهـ ، وـ فـيـ روـاـيـةـ : يـحـقـرـ أـحـدـمـ صـلـاتـهـ معـ صـلـاتـهـ ، وـ صـيـامـهـ معـ صـيـامـهـ يـقـرـأـونـ الـقـرـآنـ ، وـ فـيـ روـاـيـةـ : يـتـلـوـنـ كـتـابـ اللهـ لـبـنـاـ رـطـبـاـ ، لـاـ يـجـاـوزـ تـرـاقـيـهـ ، يـمـرـقـونـ مـنـ الـإـسـلـامـ كـاـيـرـقـ السـهـمـ مـنـ الرـمـيـةـ . . . فـلـاـ يـوـجـدـ فـيـهـ شـيـءـ (٢) وـ بـعـدـ ذـلـكـ نـقـوـلـ : إـنـ اللـهـ ضـمـنـ أـنـ يـشـئـ فـيـ كـلـ مـرـحـلـةـ أـمـةـ صـالـحةـ تـنـفـيـ عـنـ الـإـسـلـامـ تـحـرـيفـ الـفـالـينـ وـ اـنـتـهـالـ الـمـبـطـلـينـ وـ تـأـوـيلـ الـجـاهـلـينـ (٣) .

و أخيراً نقول إنه لا بد لنا أن نعمل بهذه الآية الكريمة « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بما هي أحسن » اللهم وفقنا لما تحببـهـ وـ تـرـضـاهـ وـ أـرـشـدـنـاـ سـوـاـ السـبـيلـ « ربـنـاـ لـاـ تـزـغـ قـلـوبـنـاـ بـعـدـ إـذـ هـدـيـتـنـاـ وـ هـبـ لـنـاـ مـنـ لـذـكـ رـحـمـةـ إـنـكـ أـنـكـ وـهـابـ » .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٥ مطبعة محمد .

(٢) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج .

(٣) راجعوا للتفصيل الأحكام لابن حزم ج ٤ ص ١٣١ ، أعلام المؤمنين ج ٢ ص ٣٢٠ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٣ تحت آية « و من يشاقق الرسول ، و المواقف الشاطئي ج ٢ ص ٥٨ .

يأنى دمشق و يقول للخليفة كلمة الحق أو يطالب برد مظلمة ! ! ) .  
ثم يخطو عمر الخطوة التالية . ها هو ، بعد أن بثر القلب بالدماء الحقيقة  
الحارة ، بزيل كل السodos و الصهامت من شرائين الدولة لكي يصل إلها الدم :  
نقاً فوارأ ، إلى كل أطرافها ، فيعيد إليها حيوتها و دفتها اليماني العجيب وإن هذا  
لا يتم قطعا ، إلا باقاة كل ولاة السوه الدين كانوا يقفون بين جماهير الأمة وبين  
أهدافها المشروعة ، و حقوقها العادلة ، و تشهد السنة الأولى من خلافة عمر (٩٩)  
اجرامات واسعة النطاق في هذا المجال : عزل بزيل بن المطلب عن العراق وجعله  
قسمين إداريين ، ولى أحدهما - و عاصمه الكوفة - عبد الحميد بن عبد الرحمن بن  
زيد بن الخطاب ، ولى الآخر - و عاصمه البصرة - عدى بن ارطأة الفزارى ولى  
المدينة أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم ، و مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد  
بن أسد ، و خراسان و سجستان الجراح ابن عبد الله (٢) . والسنند عبد الملك بن  
مسمع بن مالك عاملًا من قبل عدى بن ارطأة ، ثم عزل ولى عمرو بن مسلم  
الباھلی ، و ولى البحرين صلت بن حریث . عاملًا من قبل عدى بن ارطأة ، ثم  
عزل ولى عبد الكریم بن المغیرة الباھلی ، و ولى عمان سعید بن مسعود المازنی  
عاملًا من قبل عدى ، ثم ما لبث عمر أن ولى من قبله - مباشرة - عمرو بن  
عبد الله الانصاری . و ولى الجامدة زرارۃ بن عبد الرحمن ، و أقر عروة بن محمد  
على الین و في أرمینیة و أذربیجان عین عبد العزیز حاتم بن النعمان ثم عزله  
و عین عدى بن عدى فقام هذا بتعيين سوادة أبا الصباح بن سوادة الکندي عاملًا  
من قبله على الجزیرة الفراتیة و ولى عمر دمشق عبد بن الحساس العذری ، و حص  
بزید بن حصین السکونی و قنسین بن الولید بن هشام بن الولید بن عقبة ، و الأردن

(١) ابن عبد الحكم : سیرة عمر بن عبد العزیز ص ١٣٧ .

(٢) الطبری : تاريخ الامم و الملوك ٦ - ٥٥٤ .

يداً عمر بن عبد العزیز الانقلاب من الداخل ، من أعماق البلاط ، ذلك  
الذی كان قد غدا منصة للخطابة ، و (سوق عكاظ) يجتمع فيها الشعراء لعرضوا  
فهم على الخلفاء ، يقدمون مدحهم و هجاءهم و يرزقون . . . و من حول هذا  
البلاط جدران و تقابد وبروتوكولات فارسية و بيزنطية تحجب الخلفاء عن مطاليب  
أمتهم و مشاعرها . يسد عمر الأبواب في وجوه الشعراء المرتزقة (١) و يعود  
فيفتحها على مصراعها أمام كبار علماء الأمة و ربانبها لكي يتدفع قلب الدولة الاسلامية  
ابداً بدماء الإيمان ، وينبض دوماً بالروح التي صنعت هذه الأمة و بعثتها إلى العالم ،  
و كي يظل فکر عمر في حوار دائم مع قادة الفكر و ممثل الأمة : يعلمهم و يعلموه ،  
يوجهونه ، يستشيرون عليه . وتلك هي طبيعة الخلافة الراشدة  
بما أنها تبشق عن عقيدة و شريعة ، و تتجابه ظروفًا و أوضاعًا حية متغيرة . ومن  
ثم يغدو انصال الخليفة بكلبار المتفقين أمرًا ضروريًا إذا ما أريد لدولة أن تعم  
بما أنزل الله .

أما الجدران و البروتوكولات التي وقفت حائلًا بين الخلفاء و جماهير أمتهم ،  
فقد أسقطها عمر بن عبد العزیز و فتح الطريق مبادرًا إليه ، إلى قلبه و وجده :  
أمام كل المظلومين و المقهقحين عن فرصمهم و مستقبليهم المشروع . ايس  
هذا خسب بل إنه أعلن عن مكافأة مالية لكل مسلم يشد الرحال من مكان بعيد لكي

(١) عن أبعاد عمر بن عبد العزیز للشعراء المرتزقة و تقریبه للعلماء انظر : ابن الجوزی : سیرة عمر بن عبد العزیز ص ٧٤ ، ٧٦ ، ١٦٦ ، ١٧١ .

معمر (١) . و عين عمر على شرطته يزيد بن بشر بن يزيد الكلبي ، وعلى خواجه و جنده صالح بن جبير الغداني ، و على خاتمه نعيم بن سلامة ، و على حرسه ابن أبي عياش الألهاني ، ثم عزله واستعمل عمرو بن المهاجر ( مولى الانصار ) . و تخذ ليث بن أبي رقية كتاباً له ، و حبيش - مولاه - حاجبا ( ٢ ) .

و يبدو جلياً من استعراض أسماء الولاية و القضاة و سائر الموظفين الذين اختارهم عمر بن عبد العزيز ، حرصه على الاعتماد على أكثر الفناصر كفاءة و دلماً و إيماناً و قبولاً لدى جمahir المسلمين ، و لم يلزم نفسه أبداً بانتقاء العناصر الادارية من حزب بي أمية الحاكم ، بل على العكس تجاوز رجال هذا الحزب على الرغم مما يعتلك بعضهم من كفاءات إدارية ، رغبة منه في كسر الاحتكار الاداري ، و تحطم البيروقراطية الاموية ، والافتتاح على الصفة من أبناء الأمة عرباً وموالى، ويسرد الإمام الأوزاعي حواراً دار بين عمر وبين أشراف بي أمية يؤكد رغبة الخليفة وعزمها على النزام بهذه السياسة . فقد قال عمر لـأشراف يوماً اتجبون ان أولى كل رجل منكم جنداً ؟ فأجابه أحدهم : لم تعرض علينا ما لا نفعله ؟ ! فقال عمر : أترون بساطي هذا ؟ إن لاعلم أنه يصير إلى بلاء وفناه وإن أكره أن تنسوه بأرجلكم ، فكيف أوليكم ديني ؟ أوليكم أعراض المسلمين و أبشرهم ؟ هيهات لكم هيهات ! فقالوا له : لم ؟ أما لنا قرابة ؟ أما لنا حق ؟ أجاب عمر : ما أنتم واقصي رجال من المسلمين عزدى في الأمر إلا سواما ! ( ٣ ) .

إننا لا نجد ، خلال استعراضنا للقوائم الادارية ، آنفة الذكر ، سوى اسم

(١) خليفة بن خياط ١ - ٣٣١ .

(٢) خليفة بن خياط ١ - ٣٣٢ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ١٥٦ .

عبادة بن نسي الكشدي ، و فلسطين الصر بن أبرهة بن الصباح ، و مصر أيوب ابن شر حبيل بن الصباح . و أما أفريقية فقد ولى عليها أول الأمر عبد الله بن مهاجر ( المولى الانصارى ) ثم عزله و ولـإسماعيل بن عبيد الله مولى بنى مخزوم ( ١ ) و في الأندلس ولـالسمح بن مالك الخولاني بعد أن اطمأن إلى دينه و أمانته ( ٢ ) .

ولم تقف هذه الاجرامات الادارية عند طبقة الولاية بل تعدتها إلى كافة الطبقات : قضاة و كتاباً ، و قادة حرب و عمال خراج و صدقات ، و قادة شرطة و حرس ، و حجاجاً و أصحاب خاتم ( ٣ ) في القضاة اختار عمر العناصر التي تتميز بالفقه و الإيمان العميق ، و الجرأة في الحق ، فولى قضاء الكوفة عامراً الشعبي ، و قضاء البصرة الحسن البصري ، غير أن الأخير طلب من ولـالبصرة إعفافه من وظيفته كـيتفرغ لما مأمه العلمية ، فأعفاه عـبدـالـهـيـ و ولـمـكانـهـ أيـاسـ بنـ مـعاـويـةـ بنـ قـرـةـ المـزنـيـ ( ٤ ) . و ولـى على قضاء المدينة عبد الله بن عبد الرحمن بن

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ١ - ٣٢٩ - ٣٣٠ ، الطبرى ٦ - ٥٥٤ ، ٥٥٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٥ - ٥٥ .

(٣) خليفة بن خياط ١ - ٣٣١ - ٣٣٢ ، الطبرى ٦ - ٥٥٤ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦١ .

(٤) الطبرى ٦ - ٥٥٤ . في تاريخ خليفة خلاف عما أورده الطبرى فيما يتعلق بالقضاة حيث يذكر أن الذى تولى قضاء الكوفة هو القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وأما في البصرة فيذكر أن عمر كتب إلى عامله : أن اجمع ناساً من قبلك فشاورهم في أياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجوشى و استقضى أحدهما . فجتمع عدى ناساً خلاف القاسم أن اياساً أعلم بالقضاء و أصلح له منه ، فولاه عدى ! و ما لبث اياس أن غادر البصرة في مهام خاصة فولى عدى الحسن البصري على قضاها ١ - ٣٣٠ - ٣٣١ .

رمضان ١٤٠٠

البعث الاسلامي

الله ، وَ تَبَرُّهُمْ بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى ، وَ تَعْرِضُهُمْ لِكَبَدِهِمْ وَ الْأَسْطَالَةِ عَلَيْهِمْ ،  
وَ مَعَ هَذَا فَلَا يَؤْمِنُ غَشْهُمْ إِيمَانًا ! فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ( لَا تَتَخَذُوا بِطَانَةً  
مِنْ دُونِكُمْ ، لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ ) ( وَ لَا تَتَخَذُوا يَهُودًا وَ النَّصَارَى  
أَوْ لَيَاهُ ، بَعْضُهُمْ أَوْ لَيَاهُ بَعْضٌ ) . ( ۱ )

إن التجانس العقائدي بين جميع المشرفين على مناصب الدولة و العاملين في  
أجهزتها الحساسة ، أمر لازم لتحقيق البرنامج الاداري الذى اتعزم عمر تنفيذه ،  
و الذى أقامه على قاعدى القرآن و السنة ، فضلا عن أن هذا الاجراء أمر بديهى  
في كثير من الدول التي تسعى إلى تحقيق انقلابها وفق برنامج أو عقبة محددة  
مستقلة ، فان وجود عناصر غير متشعبه بالمفاهيم الاسلامية ، يشكل خطراً مباشراً  
على أهداف الاعلام ، فكيف بوجود عدد من المسلمين ؟ الامر الذى لا ريب  
ولأن بوادي إلى عدد من النتائج العكسيه التي استعرضها عمر فى هنوره التوضيحي الثانى  
لم يكتفى عمر بعزل الولاية و الموظفين السابقين و تولية آخرين يعتمد عليهم  
في تنفيذ أهدافه الشاملة ، بل وضع هؤلاء جميعاً تحت مراقبة شديدة دائمة كى يظلوا  
يحملون مسؤوليتهم إزاء الأقاليم و الأعمال التي ولوا عليها ، وكى لا تصاب بعض  
أبناء الدولة بالشلل من جراء توقف عماليها عن اللحاق بالخطوات الواسعة التي كان  
عمر يقطعها صوب الامام ، و يفرض على ولاته أن يقطعوها ! ! فلم تمض سنة  
و خمسة أشهر على توليه للجراح بن عبد الله على خراسان حتى أصدر أمره بعزله  
و تعين عبد الرحمن بن نعيم القشيري . و كان أحد الموالى قد شخص إلى الخليفة في  
دمشق و قال له :

- يا أمير المؤمنين : عشرون ألفاً من الموالى بتعزون بلا عطا ولا رزق ،

(١) ابن الأثير : الكامل ٦٦ / ٠ - ٦٦

البعث الإسلامي  
أو اسمين لموظفين من بنى أمية ، أما الآخرون جميعاً فقد تم انتهاؤهم اعتماداً على مقياس واحد لم يكن عمر يفريط به ولو تخطفته الذئاب : التقوى والسدقة حتى إن المسعودي يذكر - على وجه الاجمال - إن عمر صرف عمال من كان قبله من بنى أمية ، واستعمل أصلاح من قدر عليه ، فسألك عماله طريقة (١) فذلك هو هدف عمر بن عبد العزيز أن يسألك عماله طريقة ، ومن ثم يتحقق فعلاً البرنامج الانقلابي الذي جاء به يوم تولى الخلافة ، مستمدًا من القرآن والسنة وتسري الثورة إلى الأقاليم .  
من أجل هذا أدرك عمر بن عبد العزيز مدى الخطورة التي تتعرض لها ثورته هذه بتنسم عناصر غير إسلامية بعض مناصب الدولة الإدارية ، و أسرع بإصدار منشور عجمه على سائر عماله جاء فيه . . . إن المسلمين كانوا فيها مضى إذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك يستعينون بهم لعلمهم بالجباية والكتابة والذبائح ، فكانت لهم في ذلك مدة . فقد قضتها الله بأمير المؤمنين فلا أعلم كاتبًا ولا عاملًا في شيء من عملك على غير دين الإسلام إلا عزلته واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً . فافعل ذلك و اكتب إلى كيف فعلت (٢) وفي منشور آخر عجم أيضًا على العمال ، وضح عمر أهداف منهجه الأول بعزل غير المسلمين جاء فيه . . . إن الله عز وجل أكرم بالاسلام أهله و شرفهم و أعزهم ، و ضرب الذلة و الصغار على من خالفهم ، و جعلهم خير أمة أخرجت للناس فلا تول أمر المسلمين أحداً من أهل ذمتهم و خراجهم (٣) فتبسط عليهم أيديهم و ألسنتهم فتذلهم بعد أن أعزهم

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٣) السياسي ٣٢٩ - ٣٣٠ .

٣) ربما يقصد بهم موظفي الخارج من الفرس و غيرهم الذين بهموا على  
ديانتهم القراءة

فيعرضون عليه مجموعة من الأسماء ، فيقع الاختيار على اثنين منهم ، و يعزل الخليفة عامله السابق ، و يكتب إلى أهل خراسان « إن استعملت عبد الرحمن بن نعيم على حربكم و صلائكم ، و عبد الرحمن بن عبد الله القشيري على خراجكم ، من غير معرفة مني بهما و لا اختيار » إلا ما أخبرت عنهما فان كانوا على ما تحبون فاحدوا الله ، و إن كانوا على غير ذلك فاستعينوا بالله » (١) هذا ، ثم إن الجراح ، لم يحتسب منصبه يوماً لصلاحة خاصة ، حتى إنه عندما ترك خراسان ، خطب أهلاها قائلاً « يا أهل خراسان جئتم في ثياب هذه التي على وعلي فرسى ؛ لم أصب من مالكم إلا حلية سبفي » (٢) . و لكن الخليفة العظيم ، الذي كان يبحث عن الحق والعدل في كل مكان ، كان بإمكانه أن يطارد الظلم و يغير عليه في كل مكان ، حتى ولو لم يكن ظلماً مباشراً ، كأن يعتصر الحاكم دماء رعيته لحسابه الشخصي . فهناك أنواع أخرى لا يحصيها العد من الظلم ، و هذا الوالي رغم أنه لم يفدي شخصياً من ولايته ، إلا أن عصبيته لقومه ، و حرصه غير العادل على منفعة مالية الدولة ، جعلت عمر يسرع إلى عزله لما في سلوكه هذا من مساس بالقيم التي كان عمر يكافح دونها .

إن أخوف ما كان يخافه عمر - و هو يطارد الظلم كي يزكيه من على وجه الأرض و من أعماق النفوس - هو أن يسلك موظفوه أساليب البطش و التكبيل و الإرهاب الذي يقتل النفوس و يحيط فيها كل معانى الحرية و النطلع المفتوح إلى الآفاق التي جاء الإسلام بثورته التحريرية الشاملة ، لكي يوسع مداها في عالم الإنسان الداخلي و في أرضه و سمائه . إن الكبت و الإذلال اللذين طاردهما عمر بن

(١) الطبرى ٦ ٥٦١

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

البعث الإسلامي دراسة موجزة عن الحاكم المثالى في الادارة و التخطيط

و مثلهم قد أسلوا من الذمة بؤخذون بالخارج (١) ، و أميرنا عصي جاف يقول : أتيتكم حفياً ، و أنا اليوم عصي ! والله لرجل من قومي أحب إلى من مائة من غيرهم .

كان هذا المولى أحد أعضاء ثلاثة في وفد طلبه عمر من خراسان بطبع منه على جلة الأخبار ، أما المضوان الآخران فكانا عربين ، و كانوا قد تكلما والآخر ساكت . و يلاحظ عمر صيغة فلتافت إليه :

- أما أنت من الوفد ؟

- بلى .

- فما يمنعك من الكلام ؟

و أما أن ينهى المولى كلامه - آنف الذكر - حتى تكسو وجهه عمر ملامح البشر و الارتياح و يعلن « إذن بذلك فيلوفد !! » (٢) . إنه يريد من يطلع على ما يجري فعلاً في الأقاليم ، دون مواربة أو زيف أو خداع ، ثم هو يريد هذا من أحد المظلومين أنفسهم ، لكي يدرك من كلام المظلوم و وجده المحزون المدى الأخير لما يلحق بعض جمahir أمنه من أذى على أيدي ولاته ، ومن ثم لكي يتخذ الاجراء السريع الذي يغطي هذا المدى .

و يسرع عمر - دون ابطاء - فيكتب إلى الجراح : « انظر من صلى من قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية ، و يتلفت إلى حاشيته و مستشاريه : - أبغوني رجلاً صادقاً أسأله عن خراسان (أى أوليه إياها) .

(١) يعني - هنا - الجزية ، وكثيراً ما يرد عدم التفرق هذا بين الجزية والخارج في عدد من المصادر ، ولكن يتضح من سياق الكلام ما المقصود بكل منها

(٢) الطبرى ٦ - ٥٥٨ - ٥٦٠

الفقه الاسلامى و المشكلات الحديثة :

## القانون الاسلامى و تدوينه الجديد

الأستاذ منظور احمد محاضر في قسم العلوم الاسلامية  
جامعة الزراعة في فصل آباد - باكستان

تعریف : سرفراز عالم

القانون توجيه من الله للانسان يشمل الحياة بأسرها ، و ذلك هو التصور الاسلامى للقانون ، و من أجل ذلك فان مفهوم الاسلام للقانون أوسع و أشمل بالنسبة إلى تصور القانون لدى الغرب ، فالتفكير والأخلاق والسلوك الشخصى وقوانين المجتمع وضوابط الأسرة و التعامل الدولى و المعاملات العالمية كل ذلك ينبع من مصدر واحد وتكيفه توجيهات الاسلام ، وكل هذه التوجيهات تكون بحملتها قانوناً يطبق الأفراد على الحياة قسطاً منه و قسطاً آخر ينفذه المجتمع عن طريق تقادمه الاجتماعية و طقوسه الجماعية ، وقسطاً من تفذه الحكومة بواسطة حاكمها وقضاها و أجهزتها الادارية ، غير أن كل جزء من أجزاءه يعبر عن القانون ، و قد أشار الدكتور محمد إقبال إلى هذه الحقيقة في إحدى رسائله ويقول : إن العصبية الفردية و الجماعية لكل منها حدود معينة في الاسلام و هي التي يعبر عنها « بالشريعة » ، و لذلك فيرى كل مسلم أن التجاوز عن هذه الحدود سبب للخسارة و أن العمل في حدودها يتکفل الفوز و الفلاح كـ أن التعدى عن الحدود يحدث صراعاً و المسلم ما دام مسلماً لا يستطيع إنكار القيمة القانونية لأنى جزء من أجزاء القانون الاسلامى (١) .

(١) رسالته إلى القاضي نذير أحمد ، إقبال نامہ ص ٢٤٠

الخطاب خوفاً على الأمة لاسلامية أن تذل و تنتازل عن أهدافها الكريمة يعود حفيده - اليوم - كـ يستمر في مطاردهما لا كمال هدف جـده العظيم ، و يغسل ضمائر الناس من كل ما من شأنه أن يحيطها برین من الحس الثقيل و الخوف ، هل أقدر من الاذلال والارهاب على سحق وجدان الناس وضمائرهم و إحاطتهم بهذا الحس الثقيل و هذا الخوف ؟ !

وبتفاق عمر يوماً رسالة من عامله على خراسان يقول فيها «إن قدّمت خراسان فوجدت قوماً قد ابطأتهم الفتنة فهم ينزون فيها زواً ، احب الأمور إليهم أن تعود (أى الفتنة) ليمنعوا حق الله عليهم ، فليس يكفهم إلا السيف والسوط ، وقد كرهت الأقدام على ذلك إلا باذنك ، و يحيطه الخليفة « يا ابن أم الجراح ، أنت أحرص على الفتنة منهم !! لا تضرن دومنا ولا معاهداً سوطاً إلا في حق ، واحذر الفصاص فانك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » (١) و كتب إلى العامل نفسه ، بعد أن أعلمه هذا عن قيامه بتعيين أحد العمال المشتبهين بالارهاب « لا حاجة لي برجل قد صبغ يده بدماء المسلمين ، أعزله » (٢) وكان عمر يمنع من تولية أي موظف يكشف بحمل أعماله الماضية عن كونه مارس ظليماً و إرهاباً (٣) .

(١) الطبرى ٦ - ٥٦٠ - ٥٦١

(٢) ابن الجوزى ص ٨٦

(٣) المصدر السابق ص ٨٩

هو هداية الناس وإرشادهم وتوجيههم إلى الله، وهو يدعى أن الإنسان لا يستغني عنه في بناء حياته الجماعية والفردية، لذلك فان دور القانون الاسلامي في إصلاح أحوال الحياة وتحسينها لمجتمع أكثر من أن يكون سلبياً، وإن الدولة الاسلامية مسؤولة باتجاهها في الجانب القانوني أهم وأوسع بالنسبة إلى الدول الغير المسلمة الأخرى.

٤- الحقوق الإنسانية تبني في الأصل على العرف والتقاليد والعادات، فالأمور التي نالت رواجاً في الأسرة وتعودتها القبيلة حل محل القانون لدى الضرورة ثم امتهنت به النظريات العلمية والفلسفية مع تقدم الزمن، ولكن مواده البدائية تشمل التقاليد العائلية والقبيلية وعصبياتها ونظرياتها الضيقة، وقد هض له أنصار فزعوا أن القانون الانساني منذ أو اخر القرن الثامن عشر يقوم على أساس العدل والمساوة والانسانية الشاملة ويعني ذلك أنه لا يرتبط ماضيها بحاضرها، وأن مستقبله مجهول، ولكن القانون الاسلامي يقوم منذ بدايته وأول يومه على أساس الفطرة الانسانية وعلى هدى من الله وليس فيه تدخل الفزعات والعادات والعصبيات العائلية والجاهلية، وإذا كان فيه شيء من أثر التقاليد في جانب معين وناحية محدودة وبشرط أن لا يعارض ذلك هدى الله ورسوله، كما أن ماضيه وحاضره يرتكبان برباط وثيق مع خطوط واضحه وطرق معينة في مستقبله، ومرحلة التي يتم منها القانون الاسلامي من العدل والمساوة والرحمة والطف أن يتوصل إليها إنما هي مرحلته الأولى والأخيرة.

٥- الوحدة والانسجام من خصائص القانون المطلوبة إذ لا يمكن بدون ذلك أن يتم تحقيق غرضه الأصيل من إقامة العدل، ولكن القانون الانساني ليس في طبيعته وحدة وانسجام، أما ما يتراوح فيه بعض آثار الوحدة والانسجام، فليس ذلك إلا من تفاعل مصالح الدولة كشيء صناعي، كما تحاول المؤسسات الدولية

القانون الاسلامي و القانون الانساني و الفرق بينهما :

١- القانون الانساني لكي يكون قانوناً يبقى وينحصر كلياً على أن شيخ القبيلة أو كبيرها قد وافق عليه أو عدلت به محكمة أو سلمته دولة، و بدون ذلك فان مكانة القانونية تتلاشى و تنتهي، ولكن من عكس ذلك فان القانون الاسلامي لا يحتاج إلى شيء من مثل هذا، ولا يضطر إليه للابقاء على مكانة القانونية والتشريعية، إنه في كل حال قانون سواء اعترفت أم لم تعرف به محكمة، و خضعت أم لم تخضع له حكومة.

٢- إن القانون الانساني لا يمتلك بجانب من الاحترام والقدسية ولا يكون جزءاً من إيمان المرء، ولا يتصور المرء في شأنه أن الذى ينجزه هذا القانون لا يخفي عليه طاعة أو معصية، ولا يعتقد فيه أن الخضوع له يضمن الجننة و معارضته تؤدي إلى جهنم، وبالعكس من ذلك فان القانون الاسلامي له قدسيته وإجلاله لكونه من عند الله عز وجل، وهو كذلك جزء من إيمان المسلم، وهو الذى لا يصلح ولا يصح لإيمانه إلا بالاعتراف به والاعتقاد فيه والعمل بمقتضاه، إنه يعتقد في الذى ينجزه هذا القانون أنه عالم بذاته الصدور، و خير بأسراره، و كذلك كل مسلم يعتقد أنه لا يزال رضا الله سبحانه بدون الإيمان والاعتراف به.

٣- إن الصورة الأصلية للقانون الانساني هي صورة سلبية فحسب، فالشئ الذى يسبب وجوده - كما يعتقد خبراؤه - هو أن يصرف الناس عن الاعتداء والتعدى على غيره و يضع عليهم الحد لكي يمتنعوا عن التطاول والافساد في المجتمعات الإنسانية، وإن هذا القانون لا حاجة إليه أصلاً إذا لم يكن هناك شيء من هذا النوع . أما القانون الاسلامي فإنه لا يهدف إلى وضع الحد على التطاول والافساد فحسب، و ليست غايته هي كف الناس عن التعدي و التجاوز عن الحد بل هدفه الأصيل

فأنتج ذلك أنهم لم تبحروا في العلوم الاسلامية ولم يعرفوا الأدكار الحديثة ، ومع ذلك فان السيطرة الأجنبية و عنابة الحكومة بالمدارس جعلتهم في تضليل حتى إن العلوم و الفنون التي ازمعوا على تدريسها و تعلمها لم يتمكنوا من ذلك نظراً إلى الأوضاع المالية السيئة فضلاً أن يهتموا بتدريس العلوم الحديثة ، ففتح من ذلك أن الذين تخرجوا من المدارس الحديثة العصرية صاروا لاعلاقة لهم بالدين ، و الذين تخرجوا من المدارس الاسلامية القديمة تخرجوا غافلين عن ما يحيط بهم من أوضاع العالم المعاصر ، و لعل أحداً من هؤلاء المخريجين لم تتوفر فيه الشروط الازمة للاجتهد بكمالها .

٣- أضف إلى ذلك أن التحجب الفقهي والعصبية المذهبية التي نشأت و ظهرت في شتى جماعات الفقه قد بامت بضرر عظيم ، و من أجل هذه العصبية حضرت كل جماعة و قصرت الحق في مذهبها الفقهي و رفضت التدبر و التفكير و النظر في آراء العلماء الاجتهادية في ضوء براهينهم و دلائلهم ، و انسحبوا عن مجال التمييز بين الصحيح و السقيم رغم أن أنفسنا هم الدين أكدوا مثل هذا البحث و التحقيق و التنفيذ و الاتقاد .

و هنا نتساءل ، لماذا حدث هذا ؟ فان من أسباب ذلك أنه لما أصبغ النظام الاسلامي بالانحطاط و الانضمام لدول و وجود رجال أكفاء في ميدان الاجتهد بينما كان العصر الراهن يحتم أن يوجد هناك علماء كبار ذوو كفاءات علمية و فكرية و اجتهادية ، إلا أن النظام التعليمي المعاصر كان عقيماً و عاجزاً عن إنجاب أمثالهم .  
٤- وكذلك من أسبابه انحطاط المسلمين خليقاً ، و بهذا الانحطاط الخلقي و التدهور الفكري لازم الأذكياء و ذوي الكفاءات بلاط الأمراء و الحكام فاجهروا و أصدروا فتاواهم لرضاء حكامهم و تحقيقاً لغرضهم ، و لو كان هؤلاء الناس يتمتعون بالسمو الخلقي مع الذكاء الراذر و الفكر الج Henderson لأقبل عليهم المسلمون و وجدوا

ازالة الفروق و الخلافات من القوانين الوضعية التي يحمل محلها انسجام و وئام .

الفقه الاسلامي و جموده : لما تضاعف أمر الغرب العلمن في القرن الثامن عشر و عظم خطبه و تفاقم أمره في المسلمين إلى مدى كبير جعلهم يرکبون إلى القوانين الغربية و يتخذونها أساساً لشرعيتهم ، فكان ذلك أكبر سبب لجمود الفقه الاسلامي و دخل القانون الانساني الوصفي - عدا منطقة محددة - في كل ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية ، والدول الاسلامية التي استتب فيها للغرب أن يحكم بقيت فيها القوانين الاسلامية بصورة ضئيلة تدرس في فصول الجامعات و المدارس الاسلامية خصباً ، ولا شك فعندما تعود الطبائع مفولة إلى هذا الحالات لديها كل نشاط لنعائم القوانين الاسلامية و تعلمها فضلاً عن ذوق الاجتهد في المسائل و المشكلات المتعددة .

٢- السبب الثاني أن منهاجاً تعليمي و نظامنا الدراسي توزع إلى قسمين :  
١- إن الأحكام لاجانب نظراً إلى احتياجاتهم و مواصفاتهم أسسوا مدارس و جامعات و معاهد تمثل نظرياتهم ، فعملوا يدرسون فيها تلك العلوم المعترف بها لديهم ، أو تلك العلوم التي احتاجوا إليها ضرورة .

(ب) وبجانب آخر كان رجال غيارى على دينهم و فكرهم الاسلامي استرعى انتباهم تراثهم الاسلامي فتمسكوا بمدارسهم القديمة ، و كانت الجامعات و المدارس العصرية تزدري التدريس للعلوم الاسلامية كما أن العلوم الحديثة العصرية كانت محرومة في المدارس القديمة ، و إذا وجدت بعض العلوم الاسلامية مكاناً - بعد جهود جهيدة بذلك - إلى المدارس الحديثة فلم يكن لها وزن ما ،

ولذلك لما قامت حركة إصلاح المدارس الاسلامية و تطوير منهاجمها دخلت فيها بعض العلوم الحديثة كالأنكابية مثل حيث كانت محفوظة لدى علمائهم و طلابها ،

فيهم الثقة للاجتہاد و الفتاوا . ولکنهم لما رأوا أن العلماء يبيعون دینهم بثمن بخس دراهم معدودة روفوا سلامۃ العقیدة و الاجتہاد في الاقتناع بالقلید بدلا من الاجتہاد في ضوء الكتاب و السنة .

القانون الإسلامي و تدوينه الجديد :  
لابد من مراعاة بعض الأمور والذواحى في تدوين القانون الإسلامي وترتبه

من جديد وهي كالتالي :

١- خلق روح المداراة و المرورة بين الجماعات كلها من أهل السنة لكي تكون عملية تدرين القانون الإسلامي نافعه بناءة ، ويرفض الناس أن يتکلموا حول صطباطات الفقه من الحنفي و الشافعى و أهل الحديث ، لأن الفقه كلها سواء كان فقه الإمام أبي حنيفة أو فقه الإمام الشافعى أو فقه الإمام مالك أو فقه الإمام أحمد بن حنبل ملك مشاع بين الأمة كلها و هؤلاء الأئمة بأجمعهم أئمة الجميع ، فلا ينبغي

أن تعصب لهم أو عليهم بغير حق ، و الطريق المستقيم في ذلك أن ننظر في اجتہاداتهم وآرائهم في شئ المسائل ، وأى إمام نرى اجتہاده أكثر ملامة للكتاب و السنة و مواقفه ، و أكثر مناسباً و ملائماً لظروفه و الظروف و مصالح الأحوال تمسكنا به ، فلم يوجده الإسلام أتباعه في المسائل الاجتہادية إلى تقليد الإمام أبي حنيفة أو اتباع الإمام الشافعى ، بل هدانا إلى الاجتہاد الذي ينسجم مع الكتاب و السنة ، الأمر الذي أكدته أولئك الأئمة المظام الكرام ، فانأخذنا هذا المأخذ و انتهجنا هذا المنهج في تدوين القانون و سلکنا هذا المسلك في ترتيبه

من جديد عدنا من ذلك بفوائد عده ، أولاً - أن قانون بلادنا لا يقوم على فقه معين بل يبني على مصادر القانون الإسلامي ، وثانياً ، أن هذا القانون يعتمد عليه كل مذهب

من المذاهب الفقهية ويتحقق به وينفذ في شئونه ، وثالثاً : أنا سوف ننجح في وضع دستور شامل لمتطلبات العصر الراهن و متطلبات الزمان المعاصر بأحسن طريق ،

و رابعها - أنا نظفر بتطهير مجتمعنا ومنهج حياتنا من العصبيات المذهبية وفسادها .  
٢- و يجب أن لا يغوتنا ولا يعزب عن بالنا في كل مرحلة من مراحل

التدوين أن تعبيرات القرآن و السنة التي كان يعتمد عليها المسلمين ، هي التي يبني القانون الإسلامي عليها ، فان أحذر أحد من عنده تعبيراً لا يقبل أبداً . و إن أراد أن يفرضه عليهم بقوة يجر ذلك ضرراً كبيراً عليه ولاحرج في الاعتماد على تعبير جديد لأمر مستحدث ، ولكن اكل أمر رجال فلایتضاح به كل شخص ، فالعمل الذي قام به الإمام مالك والإمام أبو حنيفة لا يستطيع أن يقوم به كل شخص ، وكيف يتحقق فيه الناس لأنهم لم يقلدوا هؤلاء الأئمة تقليداً أعمى ، بل لأنهم كانوا على جانب أوسع من العلم والفقه والنظرة الدقيقة والاطلاع الواسع على أسرار الدين وأحكام الكتاب والسنة وتفسير معانيهما وحل مشكلاتها وفتح مغالقها ، الذي شهد له أفعالهم و مآثرهم ، وإنما السلامة لنا أن نتبع السلف الصالح ، في أمور الكتاب و السنة وأعني بذلك أن نسعى أن لا نخرج عن اجتہاداتهم و تحقیقاتهم في الأمور التي اجتہدوا أو حققوا فيها .

٣- غير أن المسائل و القضايا و المعاملات التي لبست فيها اجتہادات أئمتنا من السلف الصالح ، فالأحسن فيها أن نجمع ما أصدرت حوطا من فتاوى و آراء العلماء المؤوثق بهم في شئ الدول ، فكل ما وجدناه أوفق للكتاب و السنة وأقرب إليهم وأكثر قوة مدعمة اختياراً ، وقد بدأت تواجهنا الآن بعض القضايا المشكلات التي لا زالت تترقب آراء العلماء واجتہاداتهم فيها ، فالأحسن أن جمع معلومات لازمة للتفكير فيها ، وذلك عن طريق لجنة مؤلف من العلماء و الفقهاء الأكفاء ، و تكون هذه اللجنة مسؤولة عن البحث و التحقیق فيها وسيكون ذلك عوناً كبيراً في تدوين القانون الإسلامي و وضعه من جديد .

٤- إن الأحكام و الأمور و القوانين التي يبني على العرف و المصلحة تغير حسب تغير الأوضاع و الظروف و المقضيات ، فتحدث مرورة في القانون الإسلامي حسب متطلبات الوقت المتغير و الوضع المتطور فكما أن تطور الفقه الإسلامي أساساً خطاء عظيم كذلك تجميد القانون و الفقه الإسلامي من الأخطاء الشائنة التي لا تغتفر .

# شکویِ رمضان

الشاعر الـيـنـى الـاسـلامـى حـسـن الـذـارـى

الْمِنَابِي

# المرأة قبل الإسلام و بعده

- 7 -

الاستاذ سعيد بن عبد الله سيف الحامبي

وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : تَسْتَأْمِرُ الْبَيْمَةَ فِي نَفْسِهَا ، فَإِنْ مَكْفَفَتْ فَهُوَ أَذْنَاهَا  
وَإِنْ أُبْتَ فَلَا جُوازٌ عَلَيْهَا ( رواه أصحاب السنن ) .

عن خنساء بنت خدام الانصارية رضي الله عنها أن أباها زوجها و هي ثيب  
ذكرت ذلك فأنت رسول الله ﷺ فرد نكاحها ( رواه البخاري ) .

جاءت فتاة إلى النبي ﷺ وقالت : إن أبي زوجني إن أخوه ليرفع في خسيسته  
بجميل أمرها إليها فقالت : قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أرددت أن أعلم النساء  
أن ليس للباء من الأمر شيء . ( رواه النسائي )

و جاءت جارية بكر إلى النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها و هي كارهة  
خairyها النبي ﷺ ، رواه أبو داود .

إن الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرناها آنفاً و غيرها تدل على ما أولاه  
الإسلام من اهتمام لـكرامة المرأة المسلمة أنها لا تزوج إلا بعد إذنها و موافقتها  
و إلا فيمكِّنها أن تفسخ ذلك الزواج ، قد رأى العلماء مسألة مهمة في هذا ،  
و هي مسألة البنت الصغيرة التي لم تجرب الحياة فهنا لصلاحها و لصلاحة العامة ، فقد  
قال بعض العلماء أن لولي أمرها الحق في ترغيبها على الموافقة ! أو إجبارها إذا اقضى  
الأمر ذلك و يذهب آخرون فيقولون إن العقد يكون معلقاً في صحته على رغبتها بعد  
البلوغ .

يروى عن النبي ﷺ أنه قال ما معناه: إذا خرجت المرأة من بيتهما، وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماوات وكل شئ مرت عليه غير الجن والانسان حتى ترجع: لا طاعة لمن لم يطع الله ( رواه أحمد ) .

و هكذا نظمت الأسرة على أن يكون لها راع و صاحب أمر مطاع و من حاول أن يدخل بتنظيم الأسرة هذا فيتوعده النبي ﷺ بقوله من أفسد امرأة على زوجها فليس هنا ( ١ ) .

يقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه : المرأة في القرآن : المرأة في القرآن أحد الجنسين الذكر و الأنثى من نوع الإنسان و هما جنس الرجال و جنس النساء و الجنسان سواه و لكن للرجال على النساء درجة .

و القوامة هنا مستحبة بتفضيل الفطرة ثم بما فرض على الرجل من واجب الإنفاق على المرأة وهو واجب مرجعه إلى واجب الأفضل لمن دونه فضلا و ليس مرجعه إلى مجرد إنفاق المال و إلا لامتنع الفضل إذا ملكت المرأة ما لا يغيبها عن نفقة الرجل أو يمكنها من الإنفاق عليه .

و حكم القرآن الكريم بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم البين من تاريخ بني آدم منذ كانوا قبل نشوء الحضارات و الشرائع العامة و بعد نشوئها ( ٢ ) .

نجد فرقاً كبيراً بين المرأة و الرجل في الكتابة و القدرة على القيام ببعض الأعمال إذ نجد أن المرأة تتقن بعض الأعمال أكثر من الرجل و في نفس الوقت نرى الرجل يظهر مهاراته على أعمال أخرى أكثر من المرأة ، و هذا شئ طبيعي إذ جبل كل من الرجل و المرأة على القيام ببعض الاعمال دون الآخر و توجد

( ١ ) أبو الأعلى المودودي : الحجاب ،

( ٢ ) عباس محمود العقاد : المرأة في القرآن .

## قوامة الرجل

لكل من الرجل و المرأة حقوق و واجبات نحو الآخر ، اللهم إلا في شيء واحد إلا و هو المسئولة أو الرئاسة ، يعتبر الإسلام الرئاسة شيئاً طبيعياً في كل منحي من مناحي حياة الإنسان الطبيعية و في الحياة الاجتماعية خاصة ( ١ ) . وقد حث الإسلام أتباعه على الرئاسة في كل ما يقوم به المسلمون من أعمال فداء يأمرهم إذا اجتمع مسلمان للصلوة أن يوم أحدهما الآخر .

و الرجل قوام الأسرة أي حاكم الأسرة و راعيها و مراقب أخلاقها و شئونها و واجب الطاعة له من جميع أفرادها إلا أن يأمرهم بمعصية الله و رسوله ، ثم هو مكلف باعالة الأسرة و تزويدها بحاجات حياتها : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بهم عليهم وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب ما حفظ الله ، و التي تخافون نشوزهن فعظوهن و اهجزوهن في المضاجع واضربوهن فإن أطاعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا ، إن الله كان علياً كبيراً » ( الآية ٣٤ من سورة النساء ) .

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته ، والأمير راع و الرجل راع على أهل بيته و المرأة راعية على بيت زوجها و ولده ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ( رواه البخاري ) .

( ١ ) و نجد مصداق هذا جلياً في حياتنا اليومية ، إذ نجدرؤساء في كل شئ ، وإن اختفت المسمايات ، فالأصل واحد والمضمون واحد ، ومن تلك الأسماء السلطان و الملك و الرئيس و الشيخ و الوزير و الوكيل و المدير و المشرف و القائد و العقيد و الرائد و المرشد و الإمام و الناظر و الملاحظ و غيرها . . إلخ .

عليها درجة وهي درجة القوامة . واما لاشك فيه أن هذا الجنس اللطيف بحاجة إلى نوع من الحماية و خاصة في الحالات الحرجة . إذ كثيراً ما تفقد المرأة الحازمة توازناً . . ناهيك عن الضعفه هنـن . يجب أن لا تكون دكتـوريـة في المعاملات بين الرجل والمرأة . بل يجب أن تسود علاقـتها روح التفـاهـم و المشـورـة و شـعـورـ الاقتـاع و الاقـنـاع المشـترـكـين بين الزوجـينـ في كل الأمـورـ المـتـعلـقةـ بـقـرـاراتـ العـائـلةـ و إذا عدم التـفـاهـمـ المشـترـكـ في عـائـلةـ إـسـلـاهـيـةـ ، فـانـ ردـ الفـعلـ لـشـلـ هـذـاـ الجـوـ يـعـودـ عـلـيـ الأـطـفالـ الأـبـرـيـاءـ حـيـثـ يـصـبـحـونـ ضـحاـياـ لـتـلـكـ الأـسـرـةـ المـفـكـرـةـ ، وـهـذـاـ بـدـورـهـ يـعـكـسـ عـلـيـ الـجـمـعـ بـصـفـةـ عـامـةـ ، إـذـ يـنـتـقـجـ مـنـهـاـ جـنـوحـ الشـبـابـ وـأـمـورـ أـخـرىـ شـيـئـةـ بـذـلـكـ .

و لقد عنى الاسلام بهذه الناحية بالذات عنایة بالغة إذ بدأ ينظمها من أول يوم يرضع فيه الطفل لدى أمّه إلى آخر يوم يبقى فيه رمق الحياة .

اقرأ معى قول الحق تبارك و تعالى حول موضوع الرضاع و الفطام .

وَالْوَالِدَاتُ يَرْضَعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامْلَيْنِ ، لَمْ أَرَادْ أَنْ يَتَمَّ الرَّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، لَا تَكْلُفْ نَفْسًا إِلَّا وَسُعْدًا ، لَا تَنْصَارُ وَالْدَّةَ بُولَدَهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بُولَدُهُ ، وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَرَادَ افْسَالًا عَنْ تَرَاضِ هُنْهَا وَتَشَاءُورٍ ، فَلَا جُنَاحٌ عَلَيْهِنَا ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أُولَادَكُمْ فَلَا جُنَاحٌ عَلَيْكُمْ ، إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْقُوا اللَّهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، ( الآية ٢٣٣ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ) .

إن حكم الأسرة لا بد أن يتضمن بياناً عن تلك العلاقة التي لا تفصم بين الزوجين بعد الطلاق وعلاقة النسل الذي ساهم كلاهما فيه ، وارتبط كلاهما به فإذا تعذرت الحياة بين الأبوين فان الفراغ الرغب لا بد لها من ضمانات وعلمه نزالت هذه الآية الكريمة .

وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ الْوَالِدَةُ الْمَطْأْفَةُ وَاجْتَمَعَا نَحْوَ طَفْلَهَا الرَّضِيعِ أَنْ تَرْضِعَهُ حَوْلَيْنِ كَامْلَيْنِ

البعث الإسلامي  
هناك أعمال مشتركة يقوم بها كل من الرجل والمرأة على حد سواء .  
هل فكر أصحاب السعوم الحنفية الذين يقومون بيتنا قاتلين : إن المرأة تختلف  
في الكفاية و القدرة بسبب أثره الرجل و استبداده ؟ إن سبب الكفاية لا يعود  
إلى القوة الجسدية حسب و إن الأمر لا تقاس بالنصيب المشترك بل تقاس بالغاية  
التي لا تدرك و بالقاعدة الأعم و بالغايات القصوى .  
قد خلق الله الذكر و الأنثى و خلق فيهم هذه الرغبة و جعل أحدهما يريد  
و الآخر يتقبل و على وجود هذه الرغبة بين الذكر و الأنثى ، فاتنا نلاحظ أنها  
بالارادة أو الدعوة ، وإنما يصدر ذلك من الذكر بعد أن تتعرض الأنثى له أن  
الشهوة الجنسية تنتهي بالرجل إلى الضراوة و السيطرة و تنتهي بالمرأة إلى الاستسلام  
و الغشة ( ١ ) .

و علاوة على هذا يجب أن لا تنسى مسألة الحمل : تسعة أشهر يليها الرضاع  
عامين كامرين ، ثم حمل فرضاع ، و ما يترتب عليها من مشاكل .  
قد يقول قائل : يبدو أن للرجل في الاسلام حقوقاً أكثر مما هي لدى المرأة  
كما قبل في القرآن في إحدى الآيات التي ذكرتها سابقاً : « وللرجال عليهن درجة »  
بعد كل ما ذكرت لك بما هذا تعود فتفكر مثل هذا الكلام ؟ لا بأس و يبدو  
أن سبوم أعداء الاسلام و خاصة الجاهلية الحديثة قد أثرت فيك ، إن الاسلام قد  
منح هذه الدرجة أو القوامة للرجل لسبب الاعالة و الحماية ، و ذلك لسبب الخلافات  
الطبيعية بين الجنسين إن الجنس الذي يطلق عليه الجنس اللطيف و الضعيف أقول  
إنه قد أصاب اب الحقيقة من أطلق هذه التسمية أنه جنس ضعيف حقاً و يكفيه  
هذا شرفاً و يكفيه مسوقة الرد على من زعم أن الاسلام يضم حفظاً بأن جعل للرجل

(١) عباس محمود العقاد : المرأة في القرآن .

## صور وأوضاع

# من صناعة الموت إلى صناعة القرارات

واضح رشيد الندوى

من الأسلوب الصحفي المختار في البلاد العربية اليوم تمجيد زعمائها و التطبيل لهم و جعلهم عمالة التاريخ ، و قد يدهش من يطالع صحف بلدان عربية تخضع لنظم استبدادية اشتراكية ، و يحار بين العمالة و الزعماء المنقذين المقادير المقاوير و تزداد دهشته عندما يجد هذه البطولات وأعمال المجد والفاخرات المنسوبة إليهم داعوى لا أساس لها ، بل تتعارض مع الواقع ، فيختار و يتعجب كيف تعيش هذه الدول في عالم الأحلام .

و قد ثارت في نفسي نفس الخواطر و أنا أتصفح صحافة عربية بجعلتني  
أفكر و أتأمل عن المسلمين بصفة عامة و العرب بصفة خاصة باعتبارهم قادة العالم  
الإسلامي بتراثهم الديني و رصيدهم التاريخي ، و دورهم الطبيعي في تحرير الشعوب  
و الأمم من عبوديات كانت تخنقها و تقضي عليها ، أمم ذات تاريخ مجيد ، بل أمم  
تستحق أن تعتبر صانعة التاريخ ، رائدة تحرير الإنسان والشرف الإنساني ، أمم الحال  
والمستقبل لأن العرب يحملون مفاتيح الحياة ، ويستولون على كنوز الأرض بما و بهم  
الله من ذخائر و مواهب طبيعية و بشرية هائلة ، تعجبت كيف يحركهم و يبعث بهم  
رجال ليسوا ليوث الوغى ، بل إ نهم ليوث المسارح .

ترك الصحف جانباً و ظلالات أتأمل في المسلمين عامة وفي العرب خاصة

المرأة قبل الاسلام و بعده

البعث الإسلامي

ذلك هو الأمد الكاف لا كالرضاعة و لضمان صحة الطفل و نموه و أن لها في  
مقابل ذلك حفأ على أبيه أن يرزقها و يكسوها بالمعروف والمحاسنة فكلاهما شريك  
في التبعة و كلابها مسؤول تجاه هذا الرضيع . هي تهدى باللين و أبوه بعدها بالغذاء  
و وسائل الحياة لترعايه . وكل منها يُؤدي واجبه في حدود طاقته : « لا يكلف الله  
نفساً إلا وسعها لا يضرن والدة بولده » فيستقبل الآباء عواطفها و حنانها ليدعها و طفلها  
مطمئناً إلى أنها مرغمة بعواطفها و غرائزها أن ترضعه و ترعايه ، و لا مولود له  
بولد و لا يضار والد بولده بالاستغلال والاتهام و تكليفه ما لا يطاق ، والواجبات  
الملقاة على عاتق الآباء تتوقف في حالة وفاته إلى وارثه الراشد فهو المكلف أن يرزق طرفه  
الأم المرضع و يكسوها بالمعروف والحسنى تحقيقاً للشكافل العائلى الذى يتتحقق طرفه  
بالإرث و يتتحقق طرفه الآخر باحتمال تبعات الموروث جزاء و فاقاً .  
فإذا شاء الوالد أو الوالدة أو الوراثة أن يفطئها الطفل قبل انتيشهما العاين  
لأنهما يربان مصلحة في ذلك الفطام لسبب صحي أو سواه فلا جناح عليهما إذا تم  
هذا بالرضى بهما و بالتشاور في مصلحة الرضيع الموكول إليهما رعايته ، المفترض

كذلك إذا رغب الوالد في أن يحضر طفله مرضعاً مأجورة حين تتحقق  
مصلحة الطفل في هذه الرضاعة على شرط أن يوفى المرضع أجرها و أن يحسن  
معاملتها فذلك ضمان لأن تكون للطفل ناصحة و له راعية و واعية .  
و في النهاية يربط الأمر كل ذلك الرباط السماوي : بالتفوي : بذلك الشعور  
العميق الشفيف ، الذي يمكن إليه ما لا سبيل لتحققه إلا بذلك الشعور اللطيف  
« و اتقوا الله و اعملوا أن الله بما تهملون بصير » فهذا هو الضمان الأكيد  
في النهاية و هذا هو الضمان الوحيد (١) .

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن

رمضان ١٤٠٠هـ

في ذهن قصص البطولات التي بعثها التاريخ الإسلامي عند ما ثارت حمية الحكم المسلمين على انتهاك حرمة، وهبوا لاغانة المأمور، وذكرت قصة الخليفة المباسي المفتصم الذي سار إلى أنقره بجيش ضخم عند ما امتناعه المقاومون وحاصر عمورية ٢٤٢ لمعاقبة الامبراطور البيزنطي فلم يعد إلى مصر إلا بعد الانتصار الساحق في عمورية، فدحه أبو تمام بقصيده التي مطلعها:

السيف أصدق إنباء من الكتب      في حده الحد بين الجد واللعب  
وتجددت لي آثار نور الدين زنكي وقائد العسكري العظيم صلاح الدين الأيوبي الذي قسم ظهر الصليبيين وفتح القدس وظهر البلاد الإسلامية من الغزاة ووقف صلاح الدين الأيوبي في الانتقام من ريجي نالد على أسماء الأدب إلى الرسول الكريم وإظهار دينه الخالق لغزو الأماكن المقدسة وغارته على قاهمة المسلمين، والملك الظاهر بيبرس الذي هزم النور بفرسانه المماليك في وقعة الفرات في عام ٦٥٨، فهزهم شر عزيمة.

لقد تراكمت الغيم على العالم الإسلامي في فترات كثيرة من التاريخ وطمع الأعداء في مهد الإسلام، ولكن الأمة الإسلامية أثبتت أكفاء هذه الحن الذين لم يصدوا أمام الأعداء خسب بل أجلوهم من الوطن الإسلامي وتوغلوا في بلادهم وعمر دارهم.

لقد واجه صلاح الدين في أوقات رهيبة جيوش أوربا كلها التي كانت تجيش بالعصبية الدينية ولم يهدأ له بال قبل أن يظهر البلاد الإسلامية ويسعى الأرض المقدسة.

ثم ظهر على مسرح التاريخ العثمانيون، فدك محمد بن مراد أوربا بفتح القسطنطينية في عام ١٤٥٣م وصار العثمانيون موضع ثقة المسلمين وقيادتهم وتسلكوا القيادة البرية والبحرية، فكانت أوربا ترتعد منهم، ورغم كل دسائس وأخبار ، وتسرب الوهن في الخذلة العثمانية لم يساوم حكامها مع الأعداء، ووقف السلطان عبد الحميد موقفه التاريخي إزاء اليهود في مسألة فلسطين عند ما عرض عليه هرتزل اليهودي

كيف تحولوا من أمة الصبر إلى أمة القول ، وقد كانت الطبيعة العربية وهي نواة الطبيعة الإسلامية تتسم بالجد و العمل ، أمة كانت تصنع الأعاجيب و تحول مجرى الحياة ، و تسرخ القلوب ، أمة خرجت من الصحراء و الجبال من واد غير ذي زرع ، لما شرفها الله برسالة الإسلام فانطلقت إلى آفاق بعيدة في الشرق و الغرب و خضم العالم كله لرسالتها ، و طبقة ثقافتها ، و انتشرت علومها وآدابها تقوذ العالم و تستولي على خزان الأرض ، حتى قال أحد الخلفاء العرب المسلمين و هو يخاطب السحاب قوله التاريخية المشهورة الخالدة التي تدل على امتداد رقعة المملكة الإسلامية و اعتزاز خليفة المسلمين بها ،  
أمة أثبتت في التاريخ قادة حركة العلم و الثقافة و الدين ، و عمالقة في التدبر و الفكر و السياسة ، و أصحاب همم عالية وقوة محركة ، تسير بها قافلة الحياة الإسلامية الشاملة المنسنة غير المتجزأة ، تنتقل القيادة من جيل إلى جيل و من طبقة إلى طبقة و من جنس إلى جنس ، إذا كلت يد تسللت القيادة يد أخرى كما يتسلم قائد من قائد في ساحة القتال .

كان السبق في أيدي العرب ثم انضم إليهم الفرس والأتراك والأكراد والأفارقة والهنود ، و تراوحت مراكز قوة الإسلام و منطقات الدعوة إلى الإسلام و الدفاع عنه ، و مراكز الإشعاع من بلد إلى بلد و ظلت مسكة المكرمة موط الوحي و مهد الإسلام تهوى إليها القلوب و تجبي إليها الثرات من كل شيء و شجرة الإسلام تؤتي أكلها في كل حين بأمر ربها .

كنت أتصفح الصحف فترت بأخبار البطش و التنكيل وقتل المسلمين الأبرياء في أفغانستان وفي أماكن أخرى في العالم ، حيث يكافح المسلمون ضد قوى الظلم و الطغيان و لا يجدون لهم معيناً إلا أصوات الاحتتجاجات والقرارات ، فتجددت

كبات كبيرة من الاموال مقابل استيطان اليهود فقال «إن أرض وطننا لانتابع بالدرارهم ، إن بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها يبذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بها دون أن يبذل أكثر مما بذلوا من دماء في سبيلها» .

تاريخ حافل بالبطولات ، تاريخ الانتماء إلى الاسلام والتضحية ، تاريخ إعلان كلته ، و الاستثناء في سبيله ، تاريخ غيرة و أنفة و إيمان في حماية الاسلام و كسر شوكة أعدائه ، تاريخ العمل و الصدق والوفاء ، و البطولة لا تعرف إلا بالاقدام لا بالدعوة والدعاية كما يحاول أبطال الجولان والقبيطه أن يكسبوها و يتمجدوا بها . لقد تغيرت القيم اليوم و المقايس ، و حلت الانتماءات إلى القوميات ، و السلالات ، و الانتماءات إلى أحزاب و دعوات ، و الانتماءات إلى أشخاص ، و أفراد ، محل الانتماء إلى الاسلام .

تغيرت القيم و المقايس خل الحبر على الورق ، محل الدم في سبيل الشرف ، و كلمة الحق .

إن ركب العلم و الثقافة و افتتاح كنوز الأرض في العالم الاسلامي قد زاد فيه منابر القول و مراكز الدعوة ، و الدعوى ، و فتح فرص اللقاءات ، و تدفقت منه الندوات و المؤتمرات ، و الحلقات ، فلا ينفصل مجلس إلا للجتماع في مجلس ، و لكل مجلس مداولات ، و توصيات ، و قرارات .

أكواخ من القرارات ، وأكداس من المؤتمرات ، و نضيف إليها أكداساً مكداسة من الذخائر الحربية و المعدات .

معركة في كل مكان ، ولكن المعركة انحراف القول ورفع المطالب ، والدعوى و شرح المواقف ، و إعداد خطة تسجيل في دفتر المؤتمرات و يختتم عليها لتكون وثيقة تاريخية تدل على عزم القيادة ، و معارك في الصحف و الاذاعة و التلفزيون و مسابقات كلامية .

إن هذه الأكواخ من القرارات التي تتخذ في المؤتمرات سواء كانت سياسية

أم كانت دينية ، سواء كانت مؤتمرات العلماء و رجال الدين . أم كانت مؤتمرات رجال السياسة و الحكم ، لو جمعت و وضعت في مكان لكونت بنية ناطحة السهام من احتجاجات ، و مقررات و خطط عمل .

ترى ، ينقص العالم الاسلامي الموارد ، أو القوى البشرية ، أو القيادة ، و العلماء ، أو الحكم أصحاب سعادة ، و حرية ، أو شعوب توقيع قرارات الحكم أو ذخائر حرية ؟ كلا ! إن العالم الاسلامي غني بالموارد ، غني بالطاقات البشرية ، غني بالأسلحة التي كدمها من كل جهة .

كل ما ينقص العالم الاسلامي هو قوة الارادة و العمل ، والصدق ، ينقصه علماء مخلصون ، و حكام تصدق فيهم الظنون .

إن أسلوب الاحتجاج ، و اتخاذ القرارات في الاحتجاج ، و قضاء الوقت في التشاور ، و اللقاءات ، أسلوب الضعف و أسلوب الوهن ، وقد جرب المسلمون في تاريخهم الطويل أن احتجاجاتهم و قراراتهم لم تحرك ساكناً ، ولم تغير موقفاً ، و صدق عليهم المثل العربي « أوسعهم سباً واودوا بالابل » .

نشرت إحدى الصحف العربية صورة كاريكاتورية تصور الواقع الاسلامي ، والصورة تبدي جمازاً كبيراً مصنوعاً في أمريكا مكتوب عليه « مصنع لصناعة القرارات » حفظاً إن العالم المتحضر يصنع الأسلحة الفتاكه ، ويصنع الكواكب الصناعية ويفزو القمر أما العالم الاسلامي بمواهبه و قدراته الهائلة فلا يقوم إلا بصناعة القرارات .

لقد وصل العالم الاسلامي إلى مرحلة لا يحتاج فيها إلى مصانع أدوات ، و لا مصانع أسلحة ، فإن الأدوات و الأسلحة تتوفر في السوق ، و تشتري بالمال و قد تكبدت في بلاده المختلفة ، إن الشئ الوحيد الذي يحتاج إليه هو صناعة الموت ، وهو بضاعة لا تشعرى ، وهو البضاعة المفقودة وهي ضالة المسلم ، صناعة صنعت الأعاجيب ، و تملأ على خرائط الأرض ، و هي مفتاح القيادة ، و هي التي أنجبت الأبطال الذين نتمجد بهم و نتعزز ، و الذين صنعوا التاريخ و ندين لهم بفخر و اعتزاز .

## إلى روح الشهيد محمد مصطفى رمضان

بِقَلْمِ الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ يَاسِرِ

وفاء لحق الأخوة الإسلامية المبنية التي تربطني بالكاتب الإسلامي الشهيد محمد مصطفى رمضان ، ووفاء لصداقة دامت سنوات عدة أجدني ملزماً بكتابة هذه الكلمات القلبية ، علماً تخف ما أشعر به من ألم هض يعتصرني عصراً ، منذ الإعلان عن نبأ اغتيال الشهيد عليه رحمة الله .

هنيئاً لك الشهادة في سبيل الله يا أخي محمد فقد فزت بها ورب الكعبة جزاء ما أنتجه في ميدان الكلمة من أعمال فكرية إيمانية تشرف الإسلام والمسلم الملتزم المعنى بسلامه ، فقد فضحت الفكر اليهودي المسيطر على الإعلام الغربي والشرقي ، و الفكر القومي الشعوبي الذي منق زينان المجتمع الإسلامي . . . و المتسترين وراء الوجاهات المصطنعة الموسومة بالتقدمية الاصلاحية و الانقلابية الثائرة ، والجماهيرية البشرة . . قتلت بهذا يوم كان الطغاة في قمة شوتم ، و الظلمة في أوج عزهم بعد تصفيتهم المجاهدين الأباء ، . و إسكات من بقى منهم بالخوف و التجويع ، والحديد و النار . . و بتنفيذ التهم و انتهاءك الأعراض .

و هنيئاً لك الشهادة يا أخي لأنك قلت في يوم عظيم عند الله ، قال فيه الرسول ﷺ : « خير يوم طلعت عليه الشمس . . . ، أمام بيته الله يمد أدائه لفريضة الجمعة و ما يدرينا لمالك طابت لربك في بحودك أن تأخذ مكانك في موكب

# العَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ

الشهداء الطاھر . . . بعد عناه و صراع عنيف مع الجبارية المتسليين على سياسة العالم

الإسلامي المنكوب ، فكان ما أردت ، و حصل ما تمنيت فنبئنا لك .

و يكفي هذا عزاء لآهلك ، و إخوانك و أصدقائك . و كل الذين نأموا

لقتلك ، و غاظهم فرافقك في أرجاء وطننا الإسلامي . . . و كل الذين فقدوا نيرة

صوتية حانية ترحب بهم و تودعهم بتحية الإسلام الحادفة : « سلام من الله عليكم

ورحمة منه و بركانه » .

عزاؤنا يا أخي فانك لم تقتل في ماهي أو خماره أو شاطئه و إنما أمام

مسجد وسط جموع المسلمين . و كان يد الله المدبرة الحكيمـة اختارتك من بينهم

لتتخذ منك شهداً .

هنيئاً لك لقاء الله .

هنيئاً لك لقاء الرسول و صحبه الكرام .

و هنيئاً لك لقاء الشهداء الذين وقفوا قبها شاحنة في مواجهة ظلمة العنمة . . .

حتى أسلوا الروح راضين ليكون منهمـج الإسلام الحيـاني هو المهيمن ، و الميسر

و الرائد في عالم قطع كل صلةـه وأواصره بالكلمة الربانيةـ المـادية .

تبـأ لقتلةـ المـجرمين . . . . . سـيـصـيـبـ الـذـيـنـ أـجـرـمـواـ صـغـارـ عـنـدـ اللهـ وـ عـذـابـ

شـدـيدـ بـمـاـ كـانـواـ يـمـكـرـونـ » .

تبـأـ لـالـاعـمـاتـ الـمنـافـقـةـ الـحـقـيرـةـ الـتـيـ بـاعـتـ أـخـرـاـهـ بـدـنـيـاهـ فـكـانتـ سـيفـاـ مـسـطاـ

عـلـىـ رـقـابـ الـأـحـرـارـ . . . . تـضـعـ حـدـأـ لـأـنـفـاسـهـ الـإـيمـانـيـةـ الـمـوـصـولـةـ بـالـلـهـ قـلـبـاـ وـ قـالـبـاـ .

وـ سـقـاـ لـلـطـفـاةـ الـجـنـائـيـنـ تـرـعـبـهـمـ صـبـحـاتـ الـإـيمـانـ الـوـاعـيـةـ الـمـلـزـمـةـ الـمـزـدةـ

وـ يـرـعـبـهـمـ صـرـيرـالـقـلـامـ الـمـجـاهـدـةـ الـتـيـ تـقـذـفـ الـحـقـ بـالـبـاطـلـ فـيـدـمـغـهـ فـاـذـاـ هوـ زـاهـقـ ،

وـ الـتـيـ تـأـبـيـ الـرـكـوعـ وـ الـاسـتـسـلـامـ ، وـ تـرـفـضـ الـانـهـيـاءـ وـ الـاحـتوـاءـ ، وـ تـأـفـ

من إحراق بخور التلق و الاستخذاـءـ ، آخـذـةـ عـلـىـ نـفـسـهـاـ أـلـاـ تـكـتبـ كـلـمـةـ ، تكونـ

حجـةـ عـلـيـهـاـ يـوـمـ يـقـومـ النـاسـ لـرـبـ الـعـالـمـينـ .

بعدـآـ لـلـجـنـائـيـنـ بـأـنـ الـجـوـ سـيـكـونـ خـالـيـاـ لـهـ بـالـنـصـفـيـاتـ الـجـسـدـيـةـ وـ الـخـابـرـاتـ

الـجـاسـوسـيـةـ . . . . وـ لـمـ يـعـلـمـواـ أـنـ هـاـيـهـمـ - باـذـنـ اللـهـ - سـيـكـونـ مـرـوعـةـ . . . . وـ كـاـ

إـلـاـ فـلـيـعـلـمـ أـمـيـنـ الـقـوـمـيـةـ الـجـاهـلـيـةـ . . . . وـ خـابـيـةـ فـرـعـونـ مـصـرـ الـسـابـقـ ، وـ حـصـانـ

الـقـوـيـ الـاستـعـمـارـيـةـ . . . . وـ صـاحـبـ الشـطـحـاتـ الـفـكـرـيـةـ الـمـوـسـةـ . . . . أـنـ الـمـئـنـ سـيـكـونـ

غـالـيـاـ إـنـ لـمـ يـكـنـ هـنـاـ ، فـهـنـاكـ . . . . وـ لـاـ تـحـسـبـ اللـهـ غـافـلـاـ عـمـاـ يـعـمـلـ الـظـالـمـونـ .

إـنـ الـعـيـنـ تـدـمـعـ ، وـ الـقـلـبـ يـبـحـزـنـ ، وـ لـاـ نـقـولـ إـلـاـ مـاـ يـرـضـيـ رـبـنـاـ ، وـ إـنـاـ

لـفـرـاقـكـ يـاـ أـخـيـ مـحـمـدـ مـصـطـفـيـ رـمـضـانـ لـمـحـزـونـونـ .

وـ إـنـاـ اللـهـ وـ إـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـونـ .

## يطرون الموت

ذكرت الصحف أن جثة الشهيد محمد مصطفى رمضان الذي اغتالته أيد آئمه في بريطانيا بعد أن وصل جثمانه إلى ليبيا ودفن . جاءت أوامر عليا بنبيش قبره وإعادة رفاته إلى حيث جاءت منه !

و كذلك الشهيد عبد الجليل الذي قتل في إيطاليا أيضا . حين وصل جثمانه و وجدوه أثقل مما هو مسجل وزنه في بطاقة الطائرة شرحوا جثته . ثم أعادوه إلى روما حيث جاءته منه ! ( مع الشكر للبلاغ الكويتي )

المبررين مثل فلسطيني الذي عارض القرار بوقاحة نادرة وأيد الاتحاد السوفيatic في تدخله العسكري وإجراماته الوحشية من قتل البريء وتشريدهم وإلقاء قنابل الابالام والغاز السام عليهم

و هل يسعنا نحو هذه العقلية التي تظاهر بها بعض ممثل الدول العربية نحو هذه القضية الإنسانية ( قبل أن تكون إسلامية ) إلا أن نبدي أسفنا العميق على بيع ضيائهم وإيمانهم لقاء صدقة كاذبة و كلمات معسولة من أولائهم السوفيات الذين لا يفهمون إلا السبطارة الكاملة على منابع البترول و مصادر الرخاء والثراء في الدول العربية من وراء ستار جميل خلاب اصداقات و مودات كاذبة خادعة .  
أفهل يجهل هؤلاء الحكماء ما يقوم به العدو السوفيatic في أفغانستان من تدمير ونسف المدن والقرى بأسرها وقد بلغ عدد القتلى في بعض المدن ، خمسة آلاف مواطن أفغاني بين الصبيان والشيخوخ النساء والشباب في هجوم سوفيatic واحد .  
و من هنا لا ندرى ماذا يفبد القرار الذى اتخذه مؤتمر إسلام آباد حول القضية الأفغانية ، وقد سبقه قرارات في مؤتمرات إسلامية ، ولكن دون جدوى .  
و معلوم أن العدو لا يفهم منطق القرارات والتوصيات وأنه لا يقيم وزناً إلا لمنطق القوة ، وندعو الله أن يوفق إخواننا المجاهدين لمقاومة و مواجهة أقوى وأصمود باصل حتى يقهروا العدو ويرغموه على الانسحاب بخسائر كبيرة في أرواحه ومعداته وعلى الاندحار من أرض أفغان المسلمين مذموماً مدحوراً ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

في سوريا اليوم تحاوله شبيعة لإبادة المسلمين الجماعية ، فتشن هناك حلات وحشية على مراكز و بيوت المسلمين حيث يشن حكام سوريا رائحة رفض الحكم القائم أو إنكاره ، والحقيقة أن سوريا كلها ترفض هؤلاء الحكماء الععملاء ، ولكن

## أخبار اجتماعية و ثقافية

★ إلى روح الشهيد محمد مصطفى رمضان .

★ أفغانستان المجاهدة في مؤتمر إسلام آباد .

★ ماذا يجرى في سوريا الإسلامية .

★ إيران وباكستان تستطيان أن تمثلا دوراً ريادياً في تحقيق المجتمع الإسلامي الأفضل .

★ مات جان بول سارتر زعيم الوجودية ،

★ سعادة الشيف عبد الله العلي الحمود والدكتور عز الدين إبراهيم في ندوة العلماء .

★ انتهى مؤتمر إسلام آباد في ٢٢ من شهر مايو المنصرم بقرارات عديدة اتخاذها حول قضيay إسلامية كقضية القدس وفلسطين وأفغانستان والرهائن الأميركيكان في إيران و الدعایات المكثفة التي تتولاها أجهزة الإعلام الغربي و الصهيوني ضد الإسلام والمسلمين .

أعرب المؤتمر عن قلقه الشديد حيال الاجرامات الوحشية التي يقوم بها الاتحاد السوفيatic ضد المسلمين في أفغانستان ، و طالب انسحاب القوات السوفياتية بأسرع وقت ممكن .

قضية أفغانستان كانت من أهم ما شغل المؤتمر فهو قشت من جميع النواحي و رغم وجود الاعتداء السوفيatic السافر وإجرامه الإنساني الكبير وجد في المؤتمر أعضاء من الدول الإسلامية لم يؤيدوا القرار الذي كان يخص قضية المجاهدين الأفغان ، بل وقد برروا موقف السوفيات من هذه القضية و من بين هؤلاء

رمضان ١٤٠٠

و من ثم جاء قرار مؤتمر إسلام آباد في وقته حول التصدي للدعويات الكاذبة التي تروجها أجهزة الإعلام الغربية و الدوائر الصهيونية ضد الإسلام والمسلمين ، وقد أكد القرار الحاجة ل توفير الأموال الضرورية لانشاء جهاز يستخدم كافة السبل المنافحة بما في ذلك الإعلام لمحاربة الدعاية المعادية للإسلام و المسلمين ، كما أكد القرار على الحاجة إلى تحقيق تعاون أفضل بين أجهزة التلفزيون والراديو والصحف في الدول الأعضاء و القيام بجهود التنسيق في هذا المجال .

نرجو أن يتمثل هذا القرار الذي يؤدي دوره في تعليم المجتمع الإسلامي للحياة و العود بالحياة إلى ظلال الدستور الإسلامي و تنفيذه في جميع مجالات الحياة و المجتمع ، باذن الله ، و لا شك فإن إيران و باكستان تستطيعان أن تمثلان دوراً رياديأً في تحقيق المجتمع الإسلامي الأفضل في كل العالم .

مات في الشمر المنصرم زعيم الوجودية في العالم جان بول سارتر ، الذي خدع العالم إلى مدة طويلة بفلسفته الوجودية و بأدبه الوجودي الذي جرف كثيراً من شبابنا و أدبائنا في سبيل التحرر و الإباحة و الانطلاق ، و كم كان هؤلاء المخدوعون يرون فيه إنساناً نموذجياً يعطى على الضعفاء و المظلومين و يقف من قضايا إنسانية ووفقاً مشرفاً ، و رأى بعضهم أنه كان صديق العرب ، و أيدهم في قضية فلسطين .

و هكذا كله خداع و دعاية منوردة يقوم به بعض أعداء العرب و المسلمين فان جان بول سارتر كان عدواً ما كرآ خبيثاً داهية أيد إسرائيل و عادى المسلمين و كان يتمنى أن تقوم دولة إسرائيل قوية و تحتل القدس ، و قد زار مصر في عام ١٩٧٧ حيث نال حفاوة بالغة و إجلالاً كبيراً . و لكن موقفه مع ذلك من إسرائيل لم يتغير ، و ظل عدو المسلمين إلى آخر أيام حياته .

البعث الإسلامي وقادتهم من العلماء و الدعاة و الشباب المسلم يقولون كلمة حق لازم الحكم المسلمين و المسلمين و لا تزال عملية الإبادة الجماعية و النصفية العامة تشمل المدن و القرى ، خاصة حلب ، و حماه و حمص ، فأنها تتعرض اليوم لافسح تعذيب و أشد نعمة من قبل هؤلاء الحكام الوحشيين الذين يتحدث عنهم بعض المطاعين على الحقيقة ، فيقول :

ـ إنهم (الحكام) أقرب إلى العصابات الاجرامية و قطاع الطرق منهم إلى الحكم ، فقد جاؤوا إلى ضروب القمع و البطاش الوحشي الذي لا يقبله ضمير مهما فسد ، و لا ترضاه أى شرعة من الشرائع الالهية ، أو البشرية ... و ارتكبوا في مختلف المدن ألواناً من الجرائم التي تقشعر منها الجلد : سلوا العيون ، و قتلوا الطلبة الصغار و الشيوخ ، و دمروا البيوت على رؤوس الأبراء ، و سحلوا بعض المعتقلين في الطرقات و أخذوا الرهائن من الرجال و النساء ، و حكموا أتباعهم المسلمين في أرواح الناس وأعراض الناس وأموال الناس بصورة لم يسبق لها في سوريه مثيل .

ـ لقد كان نصب إيران و باكستان أكبر من أي بلد إسلامي آخر في الاستياء العام و التذمر الشديد الذي عم لدى زعماء و قادة الغرب و الشرق ضد الدول الإسلامية ذلك لأنهم يعتبرون إيران قاعدة الثورة الإسلامية في العالم الإسلامي كله و مطلق الجمادات الإسلامية ضد القوى الكافرة الطاغية ، و كذلك يرون باكستان دولة إسلامية تحرص كل الحرص على تنفيذ و تطبيق الدستور الإسلامي ، و يعتبرونها أولى دولة في العالم تكرر إلحاحها على جعلها دولة إسلامية مثالية في العالم ، تنفذ حكم الله في شعبها و تحكم كتاب الله و سنة رسوله عليه السلام في كل القطاعات و على جميع المستويات .

سعادة الشيخ عبد الله المحمود ، و الدكتور عز الدين إبراهيم في ندوة العلماء ، زار سعادة الشيخ عبد الله العلي المحمود الرئيس العام لمركز الدعوة الإسلامية بالشارقة ، و سعادة الدكتور عز الدين إبراهيم المستشار الثقافي لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان النهيان رئيس اتحاد الإمارات العربية المتحدة ، ندوة العلماء في ٣١ / ٥ / ١٩٨٠ م

إثر عودتها من مؤتمر وزراء خارجية الدول في إسلام آباد .

و قد أقيم تكريماً للضيوف حفل في قاعة اتحاد الطلبة لدار العلوم ندوة العلماء تحدث فيه سماحة الشيخ الندوى مرحباً بالضيوف الكرامين و ذكر صلاته الشخصية بها التي تعود إلى أكثر من ثلاثة سنة ، و تحدث سعادة الدكتور عز الدين إبراهيم فأكمل أهمية التعليم الإسلامي و صرح أن المسلمين هم أول من أنشأوا الجامعات وقد أخذت أوروبا فكرة الجامعة من المسلمين وأشار إلى جامعات الزيتونة والقرويين و الأزهر التي أنشأها المسلمون قبل ألف عام حينما كانت أوروبا تغط في نوم عميق ، و حث سعادة الدكتور عز الدين على أهمية التوحيد و التجميع و التبليغ ، والاجتهد الإسلامي وقال : إنها أساس المجتمع الإسلامي ، وركائز تقدمه وتطوره . و زار سعادة الدكتور عز الدين إبراهيم مختلف شعب ندوة العلماء و أبدى اهتمامه البالغ بشاطئ دار العلوم وما قام به المجمع العائلي الإسلامي ، وقال إنه وجد ندوة العلماء أكبر وأعظم مما كان يتصوره .

كانت هذه أول زيارة لسعادة الدكتور عز الدين إبراهيم ، وسبقه بأسبوع سعادة الشيخ عبد الله العلي المحمود الذي زار ندوة العلماء في المناسبات السابقة وخاصة أثناء المهرجان التعليمي لندوة العلماء في ١٩٧٥ م و أقام سعادته هذه المرة أسبوعاً كاملاً للعلاج والاستجمام ، و زيارة ندوة العلماء و لقاء سماحة الشيخ الندوى ومكث في الندوة ككبير العائلة ، حفظه الله و قواه .